



# ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne

AnIsl 40 (2006), p. 91-138

Sāmī Ṣāliḥ ‘Abd Al-Mālīk

النقش المراسيمي التذكاري لعمارة درب الحاج. دراسة آثارية - تاريخية جديدة. marāsīmī-al naqš-Al al-tizkāri li-‘imārat darb al-ḥāğğ al-miṣrī wa-l-aṭār al-bāqīya bi-‘arāqīb al-bağl fī Saynā’ «Dirāsa āṭāriyya - ta’rīḥiyya ġadīda».

## Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

## Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

## Dernières publications

9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)
9782724711615	<i>Le temple de Dendara X. Les chapelles osiriennes</i>	Sylvie Cauville, Oussama Bassiouni, Matjaž Kačnik, Bernard Lenthéric
9782724711707	????? ?????????? ??????? ???? ?? ???????	Omar Jamal Mohamed Ali, Ali al-Sayyid Abdelatif
???	????? ?? ??????? ??????? ?? ????????? ?????????? ??????????????	
????????????	???????????? ??????? ??????? ?? ??? ??????? ???????:	

## النقش المراسيمى التذكارى لعمارة درب الحجاج المصرى والآثار الباقية بعراقيب البغل فى سيناء «دراسة آثارية - تاريخية جديدة»

بالرغم من الأهمية القصوى لهذا النقش الآثارى العربى الإسلامى من المناحى التاريخية والحضارية والآثارية والفنية فى مجال دراسة النقوش العربية الإسلامية، وذلك لكونه نقش مراسيمى<sup>1</sup> تذكارى إنشائى نادر يؤرخ لثانى أكبر مشروع متكامل لعمارة منازل ومناهل\*<sup>1</sup> درب الحجاج المصرى بدايةً من عَجْرُود شمال غرب السَّوَيْس وصولاً إلى مَكَّة المشرفة والمدينة الشريفة، وتوسعة طرق المسلمين والحجاج إلى بيت الله الحرام ولزوار المدينة الشريفة والمسجد النبوى الشريف، وعمارة

المشرب. وقال أبو مالك المنازل والمناهل واحد، وهى المنازل على الماء. قال خالد بن جنية وغيره: المَنْهَل كل ما يَطْوُهُ الطريق مثل الرَّحِيل والحفير، قال: وما بين المناهل مَراحِل، والمَنْهَل من المياه: كل ما يَطْوُهُ الطريق، وما كان على غير الطريق لا يُدْعَى مَنَهَلًا، ولكن يضاف إلى موضعه أو إلى من هو مختص به فيقال: مَنَهَل بنى فلان أى مشربهم وموضع تَهْلهم. وقال الجوهري: المَنْهَل المورد وهو عين ماء ترده الإبل فى المراعى، وتسمى المنازل التى فى المَفَاوِز على طريق الشُّقَار مَنَاهِل لأن فيها ماءً. ويعرفها الجزيرى فقال: «أما أن تكون مَنَاهِل الأرباع وهى المحطات الكُبرى، وتارة تكون عبارة عن موارد المياه بالطريق، وهى دون ذلك». ويمكننا القول بأنها المنازل الرئيسية الكبيرة التى لا بد أن تشتمل على حَنان أو قلعة ومسجد، ويمكن للحجاج الإقامة والمبيت فيها لأكثر من يوم والتزود بالمياه وشراء بعض الحاجيات من الأسواق الكبيرة التى تُعقد فيها، ومن مَنَاهِل الربع الأول على درب الحجاج المصرى بركة الحجاج وعَجْرُود وتُحَل والعَقَبَة، أما المنازل فهى دون ذلك عبارة عن أنصاف مَنَاهِل وأهم ما فيها المياه ومُنشآتُها، وأحياناً تشتمل على مساجد صغيرة لتحديد اتجاه القبلة، وربما تكون منازل للاستراحة فقط دون وجود أى مُنشآت أو حتى المياه، للمزيد انظر: أبو الفضل جمال الدين مكرم بن منظور، لسان العرب، مراجعة وتصحيح نُخبة من الأساتذة والمتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٨، ص ٧٢٣-٧٢٤؛ عبدالقادر محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصارى الجزيرى، الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة، أعدها للنشر محب الدين الخطيب، ط١، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ٣٢٣، ٤٧٦.

دراسة تاريخية - آثارية جديدة توضح أهمية تكامل المنهج العلمى بين النصوص التى ورد ذكرها فى المصادر التاريخية المعاصرة بشتى أنواعها والشواهد الآثارية الباقية، وذلك لتأريخ الآثار المفقودة تواريخها بفعل الزمن أو بعوامل تخريب متعمدة أو الآثار غير المؤرخه، وهو المنهج الذى ساعدنى فى تأريخ العديد من الآثار المعمارية غير المؤرخه والباقية حتى الآن أو التى يتم الكشف عنها من خلال الحفائر الآثارية فى شبه جزيرة سيناء، عن أهمية ذلك بالنسبة لآثار شبه جزيرة سيناء انظر: سامى صالح عبدالمالك، تأريخ الآثار الإسلامية بشبه جزيرة سيناء، بحث ألقى بندوقه آثار سيناء عبر العصور، لجنة الآثار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، فى الفترة من ١٨ إلى ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م.

S.S. 'Abd al-Mālik, «Les mosquées du Sinaï au Moyen Âge», dans D. Valbelle et Ch. Bonnet (éd.), *Le Sinaï durant l'Antiquité et le Moyen Âge, 4000 ans d'histoire pour un désert*, Édition Errance, Paris, 1998, p. 171-176, fig. I30-I40.

<sup>1</sup> عن نقوش المراسيم انظر: محمد عبد الستار عثمان، المراسيم الحجرية من وسائل الإعلام فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بسوهاج، ج٣ع، جامعة أسيوط، ١٩٨٣م، ص ١٥٧؛ نصر عوض حسين عينر، دراسات فى المراسيم الصادرة عن سلاطين دولة المهالك البحرية والجزراكية «الرخامية والحجرية»، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٩م، ص ١-٣١٠.

<sup>1\*</sup> المَنَاهِلُ: جمع ومفردُها مَنَهَلٌ، والمَنْهَلُ المشرب ثم كثر ذلك حتى سميت منازل الشُّقَار على المياه مَنَاهِل. وقال ثعلب: المَنْهَلُ الموضع الذى فيه



أما عن أقدم الإشارات التي أشارت إليه، فقد وردت عند بعض الرحالة في نصوصهم الرحلية أثناء مرورهم بهذا المنزل على درب الحجاج المِصرى في طريقهم لأداء العمرة وفريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوى، وسترده هذه الإشارات عند هؤلاء الرحالة كل في موضعه<sup>٤</sup>.

ثم يلي ذلك ما قام به نعوم بك شقير في بداية القرن الماضى وبالتحديد سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م من محاولة لقراءة ما ورد في هذا النقش، وهى أول محاولة في العصر الحديث، ووردت محاولته هذه في كتابه الموسوعى عن تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها<sup>٥</sup>، ونقل عنه هذه القراءة العديد من الباحثين المحدثين<sup>٦</sup>.

وبعد قراءة شقير بخمس وستين سنة قام شمويل تامارى أثناء الاحتلال الإسرائيلى لشبه جزيرة سَيْناء بدراسة نقوش قَانِصُوهُ العُورى في هذا المنزل، وذلك في اليوم السابع عشر من شهر أبريل سنة ١٩٧١م، وكان عنوان بحثه الأول: «نقش قَانِصُوهُ العُورى من عَقَبَةِ العُرُقُوب»، ونُشر هذا البحث لأول مرة في سنة ١٩٧١م<sup>٧</sup>. بعد ذلك قام تامارى بالاشتراك مع هاشمشونى بدراسة جُغرافية المنطقة والموضع الذى يقع فيه النقش المراسيمي التذكاري والرنك الكتابي «الخرطوش - Cartouche»، وتوقيع بعض بقايا المنشآت المعمارية التى كانت لا تزال باقية في هذا المنزل على خارطة مساحية مُبسطة، وعنوان بحثها: «القطع في الممر بعَقَبَةِ العُرُقُوب»، ونُشر هذا البحث الصغير في سنة ١٩٧٣م<sup>٨</sup>. ثم تبع تامارى ذلك ببحث عن نقش عَقَبَةِ العُرُقُوب في سَيْناء على ضوء ما ورد عند نعوم شقير بعنوان: «نقش عَقَبَةِ العُرُقُوب في سَيْناء عند نعوم شقير»، ونشر في سنة ١٩٧٥م<sup>٩</sup>. بعد ذلك قام تامارى بنشر دراسته التى قام بها سنة ١٩٧١م عن النقش ضمن

العصور الوسطى، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٦٥-١٦٦؛ سيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الكتاب الجامعى (٦)، ط ١، دار تهامة، جدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١٤.

A.H. Ghabban, *Introduction à l'étude archéologique des routes syrienne et égyptienne du pèlerinage au nord-ouest de l'Arabie Saoudite*, thèse de doctorat, université de Provence, France, 1988, p. 616-617.

Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī from 'Aqabat al-'Urqūb*, *Atti Lincei XXVI/3-4*, Accademia Nazionale dei Lincei, Roma, 1971, p. 173-189, pls. I-V.

تمت ترجمة هذا البحث الذى نشر باللغة العبرية بعنوان: «המעבר החצות נעקבת אל-ערקוב» إلى اللغة العربية عن طريق إدارة الآثار اليهودية بالمجلس الأعلى للآثار بناءً على طلبى لحاجتى إليه، فأشكر هنا مجهود الأستاذ الفاضل محسن ربيع مدير عام إدارة الآثار اليهودية، والزميلة الفاضلة السيدة عائشة مترجمة بالإدارة نفسها، وانظر البحث:

Sh. Tamari, A. Hashimshoni, *The Cut in the Pass at 'Aqabat al-'Urqūb*, *Erlsr XI*, Jérusalem, 1973, p. 290-292

(Hebrew), English Summary, p. 32.

Sh. Tamari, *L'Iscrizione di 'Aqabat al-'Urqūb nel Sinai e Na'um Shuqayer*, *AION XXXV/2*, Napoli, 1975,

p. 274-sqq.

ع ٢، دار المريخ، لندن، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ١٩٩٠م، ص ٢٦٤؛ شمال غرب المملكة العربية السعودية - بحوث في التاريخ والآثار، الكتاب (١)، ط ١، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٢-٣٥، ١٠٤؛ عبدالمالك، عمارة درب الحجاج المِصرى في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون والأمير آل مَلِك الجوكندار «دراسة آثارية - معمارية في ضوء منازل ابن العطار»؛ عمارة درب الحجاج المِصرى في عهدى الناصر محمد بن قلاوون والأشرف قانصوه العُورى «دراسة آثارية - معمارية مقارنة» «قيدا النشر».

٤ الشيخ عبدالغنى النابلسى، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد هريدى، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٠٥؛ أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الفقيه الفاسى، الرحلة إلى الأراضى الحجازية، دراسة وتحقيق سامى صالح عبدالمالك، مخطوط بلدية الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، مخطوط رقم ٦٩٧٤/٣٥٧٨ ج جغرافيا، ص ٧١-٧٢ «قيد النشر»؛ محمد بن عبدالسلام بن عبدالله الناصرى الدرعى، ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعى، عرض وتلخيص حمد الجاسر، في رحاب الحرمين - أشهر رحلات الحج (١)، ط ٢، دار الرفاعى للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٦٣.

٥ نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام وجزيرة العرب، طبعة أثينا، ١٩٨١م، ص ١٦٠.

٦ إبراهيم أمين غالى، سينا المصرية عبر التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٧٥؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سَيْناء في

دراسته المُجمعة عن درب الحَاجِّ في سَيْناء «دراسة تاريخية - آثارية»، مع إضافة بعض التعديلات على دراساته السابقة خاصةً في قراءة بعض الكلمات من النقش المراسيمي التذكاري وذلك تحت عنوان جديد هو: «عَقَبَةُ العُرْقُوب»، وقدمت الدراسة للنشر في نوفمبر ١٩٧٩م، ثم نُشرت في فبراير سنة ١٩٨٢م<sup>١٠</sup>.

ثم تأتي الدراسة الهامة التي قام بها على حامد عَبَّان في صيف عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، وقد أفرد للنتقشين اللذين في هذا المنزل كتاباً مستقلاً قائماً بذاته، نُشر في سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م<sup>١١</sup>.

وبالرغم من جُلِّ هذه الدراسات القيمة إلا أنه كان هناك سبب رئيسي حفزني على القيام بهذه الدراسة الآثارية - التأريخية الجديدة للنقش المراسيمي التذكاري الإنشائي بصفة خاصة وآثار هذا المنزل بعراقيب البَعْل على درب الحَاجِّ المِصرى في سَيْناء بصفة عامة، ألا وهو التعرف على نص تاريخي عند مؤرخ هام ومعاصر لتلك الفترة، سيساعد في تأريخ هذا النقش بشكل صحيح وقريب من واقع ما ورد في النقش المراسيمي التذكاري من تفاصيل لأعمال معمارية تم إنجازها سواء على طول درب الحَاجِّ المِصرى أو في مَكَّة المشرفة<sup>١٢</sup>، وذلك بتاريخ مختلف ومغاير عما ورد في الدراسات السالفة الذكر لكون الجزء الأخير من النقش الذي يشتمل على التاريخ مُخرب منذ زمن غير قريب، يُضاف إلى ذلك تعديل قراءة بعض الكلمات في القراءات السابقة للنقش، وذلك بفضل عمل رسم وتفرغ للنقش التاريخي بالحاسوب ساعد على وضوح العديد من الكلمات الخلافية في القراءات السابقة ومن أهمها قراءة جديدة ومختلفة لاسم الجبل «المسمى عَرَاقِيب البَعْل» الذي صدر له مرسوم قطع عَقَبَتِهِ وتيسير الدرب فيه وذلك بقراءة مختلفة عن القراءات السابقة، كما تم إضافة قراءة كلمات وعبارات جديدة لأول مرة، كما قام الباحث بأعمال نظافة آثارية غير مسبوقه في هذا المنزل ضمن المشروع الكبير الذي قام به لتحقيق وإعمار درب الحَاجِّ المِصرى خاصةً في الربع الأول منه، وذلك في المسافة الممتدة بين بَرَكَةِ الحَاجِّ شمال شرق القاهرة مروراً ببَحَّان وقلعة عَجْرُود وقلعة نَحْل وصولاً إلى الحَنان القلعة في العَقَبَة بدايةً من سنة ١٩٩٣م مع التركيز على القسم الأهم منه الذي يقع بسَيْناء في المسافة بين عَجْرُود والعَقَبَة، ولا يزال العمل قائماً به حتى الآن<sup>١٣</sup>، كما يُضاف إلى ذلك الإطلاع على بعض النصوص الوصفية والمشاهدة رؤياً العين عند الرحالة اللذين مروا بالمنطقة، وإشارتهم للنقش ومحاوله قراءته وقراءة اسم من أمر به وتاريخه وإيرادهم لمضمونه في نصوصهم الرحلية، وغيرها من

أطلقت على كل منها في النقش المراسيمي التذكاري موضوع البحث. <sup>١٢</sup> قمت بأعمال الحَفَاث الأثارية على الدرب وهناك بعض الأعمال تم نشرها وبعضها لا يزال قيد النشر، فهناك دراسة متكاملة عن درب الحَاجِّ المِصرى في سَيْناء في ضوء الاكتشافات الحديثة سُتشر ضمن أبحاث ندوة طرق الحج التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الأيسيسكو، كما أُلقيت بحثاً بهذا الصدد في مؤتمر الآثاريين العرب الثاني - الندوة العلمية الأولى ونُشر الملخص بأعمال الندوة، والبحث كاملاً قيد النشر انظر: عبدالمالك، درب الحج المِصرى دليل على التواصل الحضارى «دراسة أثرية في ضوء الاكتشافات الحديثة»، كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٢٣؛ درب الحَاجِّ المِصرى همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحَرَمين الشَريفَين «دراسة تاريخية - آثارية»، الندوة الكبرى لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المحور التاسع، الجزء الثالث، ص ١-٤٢٤؛ قلعة نَحْل على درب الحَاجِّ المِصرى في سيناء

<sup>١٠</sup> Sh. Tamari, «Darb al-Hajj in Sinai "An Historical-Archaeological Study"», *MALinc* XXV, Rome, 1982, p. 505-516, pl. XII b, XIII, XIV.

<sup>١١</sup> سبق للدكتور عَبَّان الاعتقاد في أطروحته للدكتوراه سنة ١٩٨٨م على ما ورد في قراءة شقير للنقش الأول، وإحساس منه بوجود نقص وأخطاء في هذه القراءة هو الذي دفعه للقيام بهذه الدراسة، حيث توجه إلى سَيْناء لهذا الغرض في صيف ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، انظر: عَبَّان، نقشان من شبه جزيرة سَيْناء يؤرخان لعماره السلطان المملوكي قَانِصُوه العُورى لطريق الحج المِصرى والأماكن المقدسة في الحجاز، ط١، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢-١٣.

A. H. Ghabban, *Introduction à l'étude archéologique des routes syrienne et égyptienne du pèlerinage*, p. 616-617.

<sup>١٢</sup> حرصت على أن تكون صفة كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة بالنوع التي كانت تطلق عليها في المصادر المعاصرة للعصر المملوكي، والصفة التي

إشارات سواء كانت في نصوص مخطوطة وغير منشورة حتى الآن ولم يقف عليها أحد من قبل، أو في نصوص نُشرت ولكن لم يُلْتَفِت لأهميتها في دراسة هذا النقش المراسيمي التذكاري وهذا المنزّل على درب الحجاج المِصرى في سَيْناء، كما تم تأصيل بعض الأعمال المعمارية التي تمت بهذا المنزّل ومنها عملية قطع الجبل والعقبة التي تعترض طريق المسافرين في هذه الموضع خاصة فيما يتعلق بأقدم نقش لقطع وتسهيل العقاب في الحضارة الإسلامية، كما تم تصحيح ما كان شائعاً لدى الباحثين في التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية عن الرنوك الكتابية وبداية ظهورها، وغيرها من نقاط تم الوقوف عندها لأهميتها في البحث بصفة خاصة وفي الحضارة الإسلامية بصفة عامة.

## عراقيب البُغْل لغةً واصطلاحاً

يُعرف هذا المنزّل بالربع الأول من أرباع درب الحجاج المِصرى باسم عراقيب البُغْل<sup>١٤</sup>، والعراقيب لغةً جمع ومفرداها عُرفوب، وعُرفوب الوادي: ما انحنى منه والتوى، وموضع فيه انحناءً شديداً. والعُرفوب طريق ضيق في متن الجبل، قال الفراء: يُقال ما أكثر عراقيب هذا الجبل، وهي الطُرق الضيقة في متنه<sup>١٥</sup>. والعراقيب هنا مضافة إلى البُغْل الحيوان السحاج الذي يُركب<sup>١٦</sup>، وهي إشارة وتأكيد على أنها عقبة شاقة ووعرة في طريق هذه الدواب التي تستعمل في السفر والحمل على دَرَب الحجاج المِصرى.

ومن الملاحظ أن هذا المنزل لم يرد باسمه المعروف والمشهور به على دَرَب الحجاج المِصرى منذ نشأته كدَرَب للحجاج في الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لمِصر في سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م وحتى هجره في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى وذلك خلال العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م)، وليس أدلّ على ذلك من عدم

«دراسة آثارية معمارية جديدة في ضوء الحفائر الأثرية»، مشكاه المجلة المصرية للآثار الإسلامية، مج ١، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٤٥-٢٠٥.

S.S. 'Abd al-Mālik, «Une inscription du sultan mamelouk Kitbugā découverte à al-Qurrays (Sināi central)», dans J.-M. Mouton (éd.), *Le Sināi de la conquête arabe à nos jours*, Ifao, Le Caire, 2001, p. 51-58, fig. 1-4.

<sup>١٤</sup> درج من قاموا بضبط درب الحجاج المِصرى على تقسيمه إلى أربعة أرباع في المسافة بين القاهرة ومكة المشرفة بخلاف طريق زيارة المدينة الشريفة والمسجد النبوى التى أصطلح عليها اسم الدورة، للمزيد انظر: ابن العطار، منازل الحج، ص ١-٢٠؛ الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٣٠٤-١٣٠٨؛ عبدالمالك، درب الحجاج المِصرى همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالحرمين الشريفين، ص ٥٩-٦٣.

<sup>١٥</sup> العراقيب: يضم العين وإسكان الراء وضم القاف بلفظ العُرفوب الذى فى القَدَم، وهو عقب موتر خلف الكعبين، ومنه قول النبي: ويُلّ للعراقيب من النار، والعُرفوب والعراقيب من الجبال خياشيمها وأطرافها، وهى أبعد الطرق، لأنك تتبّع أسهلها أينما كان. والعُرفوب أيضاً: طريق ضيق يكون فى الوادى البعيد القعر، لا يمشى إلا واحداً؛ وللمزيد انظر: شهاب الدين أبى

عبدالله بن عبدالله الرومى البغدادى ياقوت الحموى، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٤، ص ١٠٧، ١٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٢٠٨-٢١٠؛ مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مج ٣، ص ١٠٣؛ المغانم المطابة فى معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق حمد الجاسر، ط ١، دار اليمامة للترجمة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٢٥٠؛ الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٣٣١؛ لويس معلوف، المنجد فى اللغة والأدب والعلوم، ط ١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٥٠١؛ المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٥٩٦؛ محمد بن عبدالله بن بلهيد، صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار، ط ٢، دن، ١٩٧١م، ج ٥، ص ٥٨؛ الجاسر، مع لبيد بن ربيعة العامري: تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها، مجلة العرب، السنة (٨)، ج ٢، الرياض، شعبان ١٣٩٣هـ/ سبتمبر ١٩٧٣م، ص ١٠٧.

<sup>١٦</sup> البُغْل: مفرد ذكر والجمع بَعَال، والأنثى بَعْلَة، واسم الجمع مَبْعُولَاء، والبَعَال: صاحب البَعَال، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٤٦٦.

ذكره ضمن مراحل ومنازل الدرب في كتب الجغرافيين الأوائل ممن كتبوا في مسالكهم وبلدانياتهم ومعاجمهم عن الدرب في المسافة بين مِصْرَ وَمَكَّةَ المشرفة والمدينة الشريفة<sup>١٧</sup>، ولكن المنطقة بصفة عامة التي كانت توجد فيها العقاب والنقاب عُرفت على وجه العموم في المسافة الممتدة بين هذا المنزل موضع البحث وحتى النزول من عَقَبَةُ أَيْلَةَ على ساحل البحر وما بها من معالم طبيعية من جبال بأسماء مختلفة خلال العصور التاريخية المتعاقبة، ففي شعر كُتَيْبِ عَزَّة<sup>١٨</sup> (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) ذُكرت تحت اسم بُصَاقٍ عندما مر بها وهو في طريقه من الديار الحجازية إلى مِصْرَ حيث قال:

وَرَدَنَ بُصَاقاً بَعْدَ عَشْرِينَ لَيْلَةً وَهُنَّ كَلِيلَاتُ الْعَيُونِ رِكَائِكُ<sup>١٩</sup>.

وورد تحديد موضعها بعد ذلك عند كل من الكندي وأبو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ وياقوت الحموي في محل عَقَبَةُ أَيْلَةَ، فُعُرِفَتْ بِجَبَلِ بُرَاقٍ أَوْ بُصَاقٍ عِنْدَ الْكَنْدِيِّ وَأَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ، أَوْ بُسَاقٍ بِالسَّيْنِ بَدَلاً مِنَ الصَّادِ عِنْدَ يَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ، حَيْثُ كَانَ بُصَاقٍ جَبَلٍ قَرِبَ أَيْلَةَ فِيهِ نَقَبٌ، وَبُسَاقٍ عَقَبَةُ بَيْنَ التَّيْهِ وَأَيْلَةَ<sup>٢٠</sup>.

كما ورد ذكر المنزل الذي يأتي قبل أَيْلَةَ «العَقَبَةُ» عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل تحت اسم: «المنزل، أو منزل» أي مكان النزول لأن عَقَبَةُ أَيْلَةَ في الذهاب نزول وفي العودة صعود، وعند بعضهم باسم «الحَفَر»<sup>٢١</sup>، ويرى عباس عمار<sup>٢٢</sup>

ج ٩، ص ٣-٣٩؛ إحسان عباس، ديوان كُتَيْبِ عَزَّةَ، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٨-٧١.

١٩ محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، طبعة رفق كست، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٤٦؛ أبي عُبَيْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْبَكْرِيِّ، مُعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ مِنْ أَسْمَاءِ الْبِلَادِ وَالْمَوَاضِعِ، تَحْقِيقُ مِصْطَفَى السَّقَا، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧، ٢٥٣.

٢٠ الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٤٦؛ البكري، مُعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧، ٢٥٣؛ ياقوت، مُعْجَمُ الْبِلَادِ، ج ١، ص ٢٩٢؛ محمد عبد الحميد مراد، مدائن صالح أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية، ط ١، دن، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج ١، ص ٧٩-٨٠؛ عبدالعال عبدالمنعم محمد الشامي، مدن مصر وقرائها عند ياقوت الحموي، ط ١، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠؛ راشد بن حمدان الأحوي، مواضع سيناء في النصوص القديمة (١)، مجلة العرب، ص ٢٥، ج ٧-٨، دار اليمامة، الرياض، محرم - صفر ١٤١١هـ/ أغسطس - سبتمبر ١٩٩٠م، ص ٥٢٢، ٥٢٦.

٢١ يستثنى من ذلك الحربي أو القاضي وكيع حيث ورد عندهما ذكر «نَحْلٍ» فيما قبل أَيْلَةَ مباشرةً، انظر: الحربي، المناسك، ص ٦٤٩؛ ابن خردادبة، المسالك، ص ١٤٩؛ البغدادي، الخراج، ص ١٩٠؛ وكيع، الطريق، ص ٣٩٩؛ ابن رسته، الأعلاق، ط ليدن، مج ٧، ص ١٨، ط دار إحياء التراث، ص ١٦٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢١٥، ٢٤٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣٤٥.

٢٢ مصطفى عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر أو «أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية»، بحث مستخرج من مجلة الجمعية الملكية الجغرافية المصرية، مج ٢١، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٦١-٦٢، ٧٠.

١٧ أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله بن خردادبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م، ص ١٤٩-١٥٠؛ إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٦٤٩؛ (ملحوظة: تمت إعادة نشر هذا المصدر ونسبته للقاضي وكيع، وستذكر المعلومات منه مع الإشارة إلى نسبته إلى كل منهما)، القاضي محمد بن خلف بن حيان وكيع، كتاب الطريق، تحقيق حمد الجاسر، إشراف عبدالله ناصر الوهبي، مطبوعات مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٩٩؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب البغدادي، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م، ص ٣٤٠؛ أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٩٠-١٩١؛ المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق طلال جميل رفاعي، ط ١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٠٠؛ أبي علي أحمد بن عمر ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م، مج ٧، ص ١٨٣؛ الحسن بن أحمد المهلب، كتاب العزيزي «المسالك والممالك»، في المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الأفريقية، إعداد يوسف أحمد كمال، القاهرة، ١٩٣٤م، مج ٣، ص ٧٨٣؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢١٥، ٢٤٩؛ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت. مج ١، ص ٣٤٥؛ ياقوت، مُعْجَمُ الْبِلَادِ، ج ١، ص ٣٤٨.

١٨ كُتَيْبِ عَزَّةَ: نسب كُتَيْبِ إِلَى عَزَّةَ الضمرية، وهي عَزَّةَ بنت حميل وقيل جميل بن وقاص، وهي صاحبة كُتَيْبِ، وبها عرف فقيل كُتَيْبِ عَزَّةَ، للمزيد انظر: أبي فرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق لجنة التأليف والنشر، الناشر مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

أن المنزل الذي ورد عند هؤلاء فيما قبل عقبة أئمة مباشرة يتناسب موضعه الآن مع النقب «نقب العقبة»، أو رأس النقب التي ورد ذكرها عند العديد من الرحالة والمؤرخين بعد ذلك<sup>٢٣</sup>.

ثم يأتي ذكر اسم النقب «رأس النقب» عند الشاعر الشهير أبو الطيب المتنبي في هروبه من حاكم مصر كافور الإخشيدى في ١٢ ذى الحجة من سنة ٣٥٠هـ / ٢٢ يناير ٩٦٢م، وذلك تحت مسمى النقب حيث قال:  
وَأَمَسَّتْ تُخْبِرُنَا بِالنَّقَابِ وَارَى الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى<sup>٢٤</sup>.

أما في العصور الوسطى بدايةً من العصر الأيوبي فقد عُرفت المنطقة على وجه العموم في المسافة الممتدة بين هذا المنزل موضع البحث وحتى النزول من عقبة أئمة على ساحل البحر باسم العقاب، وفيما يبدو أن المنزل موضع البحث كان يساوي «قلعة الراعي» على طريق صلاح الدين الأيوبي المعروف في المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة بطريق صدر وأئمة<sup>٢٥</sup>، فقد وردت في قصيدة من نظم كاتب الإنشاء عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) وهو في طريقه من دمشق إلى القاهرة بمرافقة صلاح الدين الأيوبي، ونقلها لنا أبو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) حيث أورد عدة أبيات منها في حوادث سنة ٥٧٦هـ / ١١٨١م فقال: «قال العماد: ووصلنا إلى القاهرة على طريق أئمة ثالث شعبان، واستقبلنا أهلها ولقينا الأكابر والأعيان والملك العادل أخو السلطان حينئذ هو نائبه وتلقينا موكبه ومواهبه وخدمته بقصيدة ذكرت فيها المنازل والمناهل من يوم الرحيل من دمشق إلى الوصول بالقاهرة قلت فيها:

وَرَدْنَا مِنَ الزَّيْتُونِ حَسْمَى وَأَيْلَةَ وَجَزْنَا عَقَابًا كَانَ مَسْلُكُهَا وَعِرَاءً  
إِلَى قَلْعَةِ الرَّاعِي إِلَى نَابِعٍ إِلَى جِرَاوِلٍ فَالْتُّخْلُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَفْرًا<sup>٢٦</sup>.

أما في العصر المملوكي عصر ازدهار الدرب حضارياً ومعمارياً فقد أصبحت عراقيب البعل منزل من منازل ومناهل درب الحجاج المصري في سيناء، عُرف هذا الاسم عند القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) حيث قال: «سَطْحُ الْعَقْبَةِ، وَهُوَ عَرْقُوبُ الْبُعْلَةِ»<sup>٢٧</sup>. يُعتبر ما ورد عند القلقشندي من الإشارات القديمة إلى هذا الاسم فهو انتهى من مؤلفه الموسوعي في سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م.

كما عُرفت عند ابن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م) الذي كان أميراً للحجاج سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م باسم العَرْقُوبِ فقط<sup>٢٨</sup>.

<sup>٢٣</sup> الروستين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٦٩-٧١؛ الفتح بن علي بن محمد البنداري، سنا البرق الشامي من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق فتحة النبروي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٨٣.

<sup>٢٣</sup> عمار، المدخل، ص ٦٤-٦٥؛ عثان، شمال غرب المملكة العربية السعودية - الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب (٢)، ط ١، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢١١.  
Sh. Tamari, «Darb al-Hajj», p. 17.

<sup>٢٤</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ط المؤسسة المصرية، ج ١٤، ص ٤٣١، ط ثرائنا، ج ١٤، ص ٣٨٦.

<sup>٢٤</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ٦٣٤٣؛ ياقوت، مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٥، ص ٣٢٠؛ أحمد رمزي بك، خروج المتنبي من مصر (٣)، مجلة الرسالة، ص ٢٠، ع ٩٩٦، القاهرة، ٤ أغسطس ١٩٥٢م، ص ٨٥٧؛ الشامي، مدن مصر وقرائها، ص ٦٠.

<sup>٢٨</sup> غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، كشف المالك وبيان الطرق والمسالك، مخطوط مكتبة أحمد الثالث بإستانبول، رقم ٢٩٩ / ت ٩٧، لوحة ١١٦، ١١٧؛ الشامي، الطرق والمسالك الشرقية لمصر في العصر الوسيط، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ١٩٩٩م، ص ٣١٧-٣١٨.

<sup>٢٥</sup> J-M. Mouton, S.S. 'Abd al-Mālik, O. Jaubert, Cl. Piaton, «La route de Saladin (tarīq Ṣadr wa Ayla) au Sinaï», *AnIsl* 30, Le Caire, 1996, p. 46-47.

<sup>٢٦</sup> عن العقاب انظر: شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة،

ثم أصبح هذا الاسم مضافاً إليه البُغْلَةُ هو الأشهر بالنسبة إلى هذا المنزل، فقد عُرف به عند كل من مُحِبِّ الدين بن العطار (ت حوالى ٨٨٠هـ/١٤٧٦م) في منزله، وعند شرف الدين بن الجيعان (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) في رحلته، وأيضاً عند أبو سالم العياشى (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) في رحلته ونقل عنها الكثير من الرحالة المغاربة، وعند الذبّادى (ت ١١٦٣هـ/١٧٤٩م) الذى توجه للحج سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م بالاسم نفسه أى عَرْقُوبِ البُغْلَةِ<sup>٢٩</sup>. كما وردت عند الجزيرى (ت حوالى ٩٧٦هـ/١٥٦٩م) بصيغة الجمع لا المفرد وذلك باسم عَرَاقِيبِ البُغْلَةِ<sup>٣٠</sup>، وهو الاسم الذى ورد ذكره كذلك عند الخيارى (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) في رحلته عندما مر بها يوم الاثنين الخامس من شهر ذى القعدة سنة ١٠٨١هـ/ ١٦ مارس ١٦٧١م<sup>٣١</sup>.

والرحالة النابلسى (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م) عندما مر بها يوم الاثنين ١٨ من شهر رجب سنة ١١٠٥هـ/ ١٣ مارس ١٦٩٤م، أطلق على عموم المنطقة اسم عَرْقُوبِ البُغْلَةِ، وقال يقال لها أيضاً عَرَاقِيبِ البُغْلَةِ أو الاكتفاء أحياناً بتسميتها بالعراقيب، أما المنطقة التى يوجد بها النقش الكتابى فساها تخصيصاً وتحديداً عَقَبَةُ العَرْقُوبِ حيث قال: «وصلنا إلى مكان فى البرية يقال له عَرْقُوبِ البُغْلَةِ ليس فيه ماء فنصب لنا الخيمة وبتنا .. ويقال لذلك المكان عَرَاقِيبِ البُغْلَةِ، ثم أصبحنا .. فركبنا وسرنا إلى أن مررنا فى الطريق على عَقَبَةِ هُنَاكَ تُسمى عَقَبَةُ العَرْقُوبِ»<sup>٣٢</sup>.

العربية، القاهرة، ميكروفيلم رقم ١٤٣٤؛ وعن مكتبة الرباط، ميكروفيلم رقم ٣٩٨، ص ٥٨؛ بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ١٨٠٨، مصورة مكتبة معهد البحث العلمى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ميكروفيلم رقم ١٠٢٣ - تاريخ - رقم آخر ٢٣٨ق- ١٠٢٣ تاريخ؛ الدرعى؛ ملخص رحلتى، ص ٦٣؛ الجاسر، من رحلات الحج: المجموع الظريف فى حجة المقام الشريف، مجلة العرب، س ١٠، ج ٩، الرياض، الربيعان ١٣٩٦هـ/ مارس - أبريل ١٩٧٦م، ص ٦٦٩، ٦٨٩؛ فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (١)، مجلة العرب، س ١٢، ج ١٤، الرياض، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ/ يوليو - أغسطس ١٩٧٧م، ص ٧٢؛ فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات (١٥): رحلة المنالى الذبّادى (١)، مجلة العرب، س ١٢، ج ٧، الرياض، محرم وصفر ١٣٩٨هـ/ يناير - فبراير ١٩٧٨م، ص ٥٣١؛ عبدالمالك، حج السلطان المملوكى قايتباى فى ضوء ما جاء برحلة ابن الجيعان والمصادر المعاصرة وأثرها على العمران بمكة المكرمة، بحث ألقى باللقاء العلمى الثامن للجمعية التاريخية السعودية بمكة المكرمة، فى ٩-١١ ربيع الثانى ١٤٢٦هـ/ ١٧-١٩ مايو ٢٠٠٥م «قيد النشر».

<sup>٣٠</sup> الجزيرى، الدرر، ص ٤٧٧، ج ٢، ص ١٣٠٣.

<sup>٣١</sup> إبراهيم بن عبدالرحمن الخيارى، تحفة الأدباء وسلوة الغرابة «رحلة الخيارى»، تحقيق رجاء محمود السامرائى، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج ٣، ص ١٨٤.

<sup>٣٢</sup> النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

<sup>٢٩</sup> مُحِبِّ الدين محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد البكرى الوفاى المعروف بابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، دراسة وتحقيق سامى صالح عبدالمالك، مخطوط مكتبة الأمير سلمان بن عبدالعزيز المركزية، جامعة الملك سعود، الرياض، مخطوط رقم ٥٦٠٢، رقم عام ٣٨، ٩١٥/ م.ع، ميكروفيلم رقم ١٦٣٨ ف، لوحة ٣، ص ٤، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم ١٠٠٨ جغرافيا، ميكروفيلم ٤٦٢٥٥، فيلم رقم ٧٥٢٥، لوحة ٥، ص ٧ «قيد النشر»؛ بدر الدين أبو البقاء شرف الدين محمد بن يحيى بن شاكر بن عبدالغنى بن الجيعان، المجموع الظريف فى حجة المقام الشريف الملك الأشرف أبى النصر قايتباى، دراسة وتحقيق سامى صالح عبدالمالك، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم ٨٤٥ جغرافية، ميكروفيلم رقم ١٨٦٨٩، لوحة ٢٩، ٩٣، ص ٥٦، ١٨٥ «قيد النشر»؛ أبو سالم محمد بن على بن مزروق بن الحسن العياشى، رحلة العياشى ماء الموائد، وضع فهارسها محمد حجي، دار المغرب للتأليف، الرباط، ١٣٧٩هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩٩؛ مقتطفات من رحلة العياشى ماء الموائد، تلخيص وعرض حمد الجاسر، سلسلة فى رحاب الحرمين أشهر رحلات الحج (٢)، ط ١، دار الرفاعى، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢١؛ نجاح صلاح الدين القابسى، رحلة العياشى «تحقيق ودراسة»، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٩٥؛ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٠٤؛ أبو محمد عبدالمجيد بن على بن محمد المؤذن المنالى الأدريسى الفاسى الذبّادى، الرحلة الراشدة المشتملة على ترتيب ديار الحجيج، مكتبة معهد البحث العلمى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ميكروفيلم رقم خاص ٢٧٤، ٢٣٨ق- ١٠٢٣ تاريخ، مصور عن معهد المخطوطات، جامعة الدول

وتُعرف المنطقة الآن على الخرائط المساحية<sup>٣٣</sup>، وعند سكان المنطقة من قبيلة الأحيوات<sup>٣٤</sup> باسم دبة البغلة، واعتقد أنها تسمية محلية اشتهرت بها عند أهل المنطقة، وربما تكون هي التسمية الأصلية عند هذه القبائل خاصة أن أسماء كثير من المواقع والمواضع والوديان والجبال يتوارثها أبناء القبائل كإبراً عن كابر.

ومن هنا يُمكن القول أن المنطقة التي يوجد بها المنزل عُرفت إجمالاً باسم عَرُقُوبِ البغلة أو عَرَاقِيبِ البغلة، وأن الموضع والمنزل محل الدراسة الذي يوجد فيه الجبل الذي تم قطعه، والنقشيين الكتبيين التذكاري التاريخي والرنك الكتابي، وبقايا مبنى صغير قد يكون المسجد المذكور في الرحلات، ومباني عمال المَحَجِرِ وعُربان الدرك، فقد عُرف تحديداً باسم عَقَبَةِ العَرُقُوبِ، وذلك في روايات بعض الرحالة والمؤرخين، وأن الاسم الموسوم به المنطقة والجبل في نقش قَانِصُوهُ العُورَى التذكاري الإنشائي الموجود في نفس المنطقة هو عَرَاقِيبِ البغلة<sup>٣٥</sup>، وهو الاسم الذي اعتمده في دراستي هذه لأن النقوش الكتابية الأثرية في هذا المجال يُعتد بها في تحقيق الأسماء بعيداً عن التصحيف أو التحريف، وعلاوة على ذلك أن نصوص الرحالة والمؤرخين اختلفت فيما بينها في رسم الاسم وبالتالي لم يكن هناك اسماً معروفاً مطلقاً، يُضاف إلى ذلك أن الاسم الذي تم تصحيحه ورد بالفعل في بعض النصوص الرحلية، ويؤيد قراءتي للاسم قراءة الرحالة المغربي أبي العباس الفاسي في رحلته لأداء فريضة الحج عندما مر بها في يوم السبت ٨ ذى العقدة سنة ١٢١١هـ/ ٥ مايو ١٧٩٧م حيث قال: «مر الركب عند الغروب بمحجة منحوتة في جبل في غاية الضخامة يدل ذلك على عظم مُلك مَنْ نحت تلك الطريق بذلك الموضع، ويسمى ذلك [المكان] المنحوت عَرُقُوبِ البغلة، وهناك مكتوب بخط جيد في غاية الإتقان في حجارة بالنقش، والنحت نصر من الله وفتح قريب، ومكتوب بعد ذلك أسطر من أمر بنحت تلك الطريق»<sup>٣٦</sup>. حيث يتضح لنا من النص الرحلي السابق أن الفاسي حاول قراءة النقش بدلالة أنه ذكر الطريق المنحوت واسمه الوارد في أول المرسوم بالنقش الكتابي التاريخي بعد الآيات القرآنية.

كما اشتهرت هذه العَقَبَةُ في كُتب العديد من المؤرخين والرحالة بأنها عَقَبَةُ صغيرة، فذكرها ابن العطار الذي حج عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م وقام بتحرير درب الحجاج المصري من حيث أسماء منازلها وصفاتها ومنازلها وأعشابها وتفاوت طرقها بمشاهدة ونقل وسؤال على التحقيق ورصدت مسافاتها بمنكاب<sup>٣٧</sup>، حيث وصف عَرُقُوبِ البغلة فقال: «عَرُقُوبِ البغلة عَقَبَةُ محجر صَعُود وَهَبُوط وَمَضِيق يباتوا بها وساعاتها ثمانية»<sup>٣٨</sup>.

<sup>٣٣</sup> شقير، تاريخ سيناء، ص ١٦٠، خارطة ملحقه؛ خارطة سيناء، مقياس رسم ١: ٧٥,٠٠٠، مصلحة المساحة المصرية، القاهرة، ١٩١٣م، بكر، ملامح دروب الحجيج، ص ١٠٩، ١١٤، ١١٥.

G.W. Marry, *Sons of Ishmael*, Londres, 1935, p. 249-250.

<sup>٣٥</sup> انظر لوحات أرقام (٦-٨) من ملاحق البحث؛ ويلاحظ أن تاماري قرأ كلمة: «البغلة» في المقال الأول، ثم قرأها استناداً لما جاء في كتابات الرحالة في المقال الثاني «البغلة»، وبالتالي غير القراءة الصحيحة بالخطأ انظر: Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī*, p. 179, 183, pl. III, fig. 2; *id.* «Darb al-Hajj», p. 509, 512.

<sup>٣٦</sup> الفاسي، الرحلة إلى الأراضي الحجازية، ص ٧١-٧٢.

<sup>٣٧</sup> المنكاب: آلة كانت تستعمل في تقدير وقياس الزمن، انظر: ابن العطار، منازل الحج، لوحة ١، ص ١؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ص ١٣٠٤، حاشية (١).

<sup>٣٨</sup> ابن العطار، منازل الحج، لوحة ٣، ص ٤.

<sup>٣٣</sup> شقير، تاريخ سيناء، ص ١٦٠، خارطة ملحقه؛ خارطة سيناء، مقياس رسم ١: ٧٥,٠٠٠، مصلحة المساحة المصرية، القاهرة، ١٩١٣م، بكر، ملامح دروب الحجيج، ص ١٠٩، ١١٤، ١١٥.

<sup>٣٤</sup> عن قبيلة الأحيوات انظر: الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٤٦؛ شقير، تاريخ سيناء، ص ١١٩؛ عمار، المدخل الشرقي، ص ١٢٢-١٢٣، ١٧٣-١٧٤؛ المدخل الشرقي لمصر «أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية - البقية»، مجلة الجمعية الملكية الجغرافية المصرية، مج ٢١، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٣٢٥؛ عبده مباشر وإسلام توفيق، سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢١-٢٢؛ مصطفى مراد دباغ، بلادنا فلسطين، ط ٢، مطبوعات رابطة الجامعيين، الخليل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٢٩٦-٢٩٨؛ الأحيوي، المساعيد: فروعهم ومواطنهم، مجلة العرب، س ٢١، ج ١١-١٢، دار اليمامة، الرياض، الجديان ١٤٠٧هـ/ يناير - فبراير ١٩٨٧م، ص ٨١٠-٨١٦. عبد الملك،

ثم ورد ذكرها عند الجزيري فبالإضافة لمشاهدته وخبراته الكبيرة في كل ما يتعلق بدرب الحجاج المصري إلا أنه كان يعتمد كثيراً على ما ورد في منازل ابن العطار حيث قال في وصفها بما نصه: «وهي عَقَبَة صغيرة ومحجر، وصعود، وهبوط»<sup>٣٩</sup>. وهو الوصف الذي لم يختلف كثيراً عما ورد في وصف ابن العطار. ووصفها الخياري المدني حيث قال: «بدا لنا الطريق صعب سلوكة، يشتمل على عقاب صغار، وأحجار كبار، يزدحم به الحجاج وتراكم من بحر المحامل الأمواج، يسمونه عَرَاقِيبَ البُغْلَة»<sup>٤٠</sup>.

## عَرَاقِيبُ البُغْلِ مَوْقِعاً وَمَوْضِعاً

من الملاحظ أنه لم يرد ذكر لعَرَاقِيبِ البُغْلِ في كُتُبِ الجغرافيين الأوائل ممن كتبوا عن درب الحجاج المصري في الفترة المبكرة من نشأته كما سبق ذكره، ولكن سنجد أن موقعها وموضعها حُدد بعد ذلك عند الجغرافيين والمؤرخين والرحالة خاصةً خلال العصر المملوكي عصر عودة ازدهار الدرب حضارياً ومعمارياً، فكانت عند القَلْقَشَنْدِي تقع في المسافة بين ظَهْر العَقَبَة وثَمَد الحصى وأشار إلى أن سَطْح العَقَبَة هو عَرْقُوب البُغْلَة حيث قال: «تمد الحَصَا، ثم منها إلى ظَهْر العَقَبَة، ثم منها إلى سَطْح العَقَبَة، وهو عَرْقُوب البُغْلَة على جانب طَرَفِ بَحْرِ القُلْزُم، وفيها ماء طَيِّبٌ من حَفَائِر. ثم منها إلى حَفْن»<sup>٤١</sup>. وأعتقد أن هناك نقص في النص الذي أورده القَلْقَشَنْدِي حيث أن المنزل الذي يقع على طَرَفِ بَحْرِ القُلْزُم، وفيه ماء طَيِّبٌ من حَفَائِر، ومنه إلى حَفْن «حَقْل» هي أَيْلَة العَقَبَة لا عَرْقُوب البُغْلَة. كما كانت العَرْقُوبُ «عَرَاقِيبِ البُغْلِ» عند ابن شاهين الظاهري في المسافة بين أُبْيَار العَلَاي «بئر أبو محمد، بئر أم عباس» والسَطْح «سَطْح العَقَبَة»<sup>٤٢</sup>.

وقد تحدد موقع وموضع عَرَاقِيبِ البُغْلِ عند ابن العطار في منازل على درب الحجاج المصري، حيث قسمه على طول الدرب إلى مَنَازِل، ومقدار وقت السير إليها بالساعات بسير قافلة الحجاج، فكانت المنزل الثالث عشر مما يلي أُبْيَار العَلَاي التي تسبقها من الناحية الغربية والمسافة بينهما تقدر بثمانى ساعات بسير قافلة الحجاج، وقبل سطح العَقَبَة المنزل الرابع عشر من الناحية الشرقية، والمسافة بينهما تقدر بأحد عشر ساعة بسير قافلة الحجاج، وقد ذكر ابن العطار عَرْقُوب البُغْلِ فقال: «الثانية عشر أُبْيَار العَلَاي .. .. ساعاتها ثمانية، الثالثة عشر عَرْقُوب البُغْلَة عَقَبَة محجر صَعُود وَهَبُوط وَمُضِيق يَبَاتُوا بها وساعاتها ثمانية، والرابعة عشر سَطْح العَقَبَة .. .. ساعاتها أحد عشر»<sup>٤٣</sup>.

وكانت عند أبي البَقَاء ابن الجُبَيَّان في رحلته بمرافقة السلطان الأشرف قايتباي لأداء الحج في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٨٠م وذلك في رحلة الذهاب والعودة بين أُبْيَار العَلَاي في الغرب وسَطْح العَقَبَة في الشرق<sup>٤٤</sup>.

<sup>٣٩</sup> الجزيري، الدرر، ص ٤٩١، ج ٢، ص ١٣٣٢. <sup>٤٢</sup> الظاهري، كشف المالك، لوحة ١١٦، ١١٧؛ الشامى، الطرق والمسالك، ص ٣١٧-٣١٨.

<sup>٤٠</sup> الخياري، تحفة الأدباء، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤.

<sup>٤٣</sup> ابن العطار، منازل الحج، لوحة ٣، ص ٤.

<sup>٤١</sup> ذكر الدكتور عَنَان أن أول إشارة إلى هذا الاسم على حد علمه كانت عند

<sup>٤٤</sup> ابن الجيعان، المجموع الظريف، ص ٢٨-٢٩، ٩٢-٩٤، ص ٥٥-٥٦، ١٨٣-١٨٧؛ الجاسر، من رحلات الحج: المجموع الظريف، ص ٦٦٩، ٦٨٩.

ابن القلقشندی، وذلك بمدّة طويلة، ونظر: القلقشندی، صبح الأعشى، ط المؤسسة المصرية، ج ١٤، ص ٤٣١، ط تراثنا ج ١٤، ص ٣٨٦؛ عَنَان، نقشان، ص ٨٢.

كما كانت خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين عند الرحالة شمس الدين (ت ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م) بين أبتيار العلاءي والجفارات<sup>٤٥</sup>. أما عند الجزيري فكانت بين محل المئذرة والسطح، وفي موضع آخر بين أبتيار العلاءي والجفارات وذلك حسب السير المعتاد<sup>٤٦</sup>. وعند الخياري بين أبتيار العلاءي وسطح العقبة<sup>٤٧</sup>.

وعند الرحالة التركي حاجي خليفة بين أبتيار العلاء ورأس الركب «الجفارات»<sup>٤٨</sup>. وعند الرحالة النابلسي تقع بين التمدد «تمد الحصا»<sup>٤٩</sup> والسطح، وأكثر تحديداً بين عزقوب البغلة «عراقيب البغلة» والسطح<sup>٥٠</sup>. ويبدو أن هذا المكان قد أخذ منزلاً تستريح وتبيت فيه قافلة الحجاج في رحلة الذهاب، فالعادة أن يرحل الركب من أبتيار العلاء إلى العراقيب فيبيت بها إلى قبيل الفجر<sup>٥١</sup>.

ومن هنا يمكن القول أنها عقبة صغيرة تعترض مسار درب الحجاج المصري في شبه جزيرة سيناء في المسافة بين منزل أبتيار العلاءي أو التمدد في الغرب وظهر أو سطح العقبة في الشرق بالقرب من رأس النقب، وأنها كانت منزل صغير تبيت فيه قافلة الحجاج أحياناً.

والآن تقع عقبة العزقوب «عراقيب البغل» على بُعد ٨٢ كيلو متر إلى الشرق من مدينة وقلعة نخل على الطريق الدولي النفق - نويبع، وإلى الغرب من قرية ومطار رأس النقب «رأس عقبة أثلة» بمسافة ٢٥ كيلو متر<sup>٥٢</sup>.

## درك حراسة عراقيب البغل

فيما يتعلق بنظام حراسة منزل عراقيب البغل على درب الحجاج المصري فقد أتبع في حراسة الدرب بصفة عامة ثلاثة أنظمة، أولها وهو حراسة قافلة الحجاج نفسها على طول الدرب، وثانيها حراسة الدرب نفسه في المسافات بين المناهل الكبرى، وثالثها حراسة المناهل الكبرى نفسها كبركة الحجاج، وخان وقلعة عجرود، وقلعة نخل، والخان القلعة في العقبة وغيرها، ويهمننا في هذا الموضوع النظام الأول والثاني، وهما:

النظام الأول: يتبع فيه الحراسة النظامية التي تتبع الدولة مباشرة، وهو ما نجده في حراسة قافلة الحجاج في تجمعها ونزولها وترحالها، وورودها وصدورها، وتكون وقتيه بصحبة أمير الحجاج في كل موسم للخروج والعودة من الحج، ففي

<sup>٤٥</sup> شمس الدين محمد بن أحمد، كتاب الحجاج أو رحلة شمس الدين، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم المخطوط B. N. ٢٧٦١، ص ٣١ ب، ٣٢ أ.

<sup>٤٧</sup> الخياري، تحفة الأدباء، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤. Sh. Tamari, «Darb al-Hajj», p. 450.

<sup>٤٨</sup> وقد ذكرها الأحيوي أنها موضع على درب الحجاج المصري شرقي التيه

<sup>٤٩</sup> بين نخل وعقبة أثلة قرب التمدد، وهو تحديد عام، فالأدق أنها بين عقبة

<sup>٥٠</sup> العزقوب التي بها نقشى السلطان قانصوه الغوري وسطح العقبة التي

<sup>٥١</sup> تُعتبر آخر الجفارات، والجفارات اسم لحفائر وجور بالطريق كجفارات

الحاكة، انظر: الجزيري، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢، ص ١٣٣١-١٣٣٢؛

<sup>٥٢</sup> الأحيوي، مواضع سيناء في النصوص القديمة وتحديدها في عصرنا (٢)،

انظر خارطة شكل (١) من ملاحق البحث.

مجلة العرب، س ١٠، ج ٩، الرياض، الربيعان ١٤١١هـ/ أكتوبر-نوفمبر ١٩٩٠م، ص ٦٣٠-٦٣١.

<sup>٤٧</sup> الخياري، تحفة الأدباء، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤.

<sup>٤٨</sup> Sh. Tamari, «Darb al-Hajj», p. 450.

<sup>٤٩</sup> انظر لوحة (١) من ملاحق البحث.

<sup>٥٠</sup> النابلسي، الحقيقة، ص ٣٠٥.

<sup>٥١</sup> ابن العطار، منازل الحج، لوحة ٣، ص ٤؛ الجزيري، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢،

ص ١٣٣٢.

<sup>٥٢</sup> انظر خارطة شكل (١) من ملاحق البحث.

عَرَاقِيبَ البُغْلِ كان الحراس الذين بمرافقة أمير الحجاج يقومون بتنظيم القافلة عن طريق تقطيرها<sup>٥٣</sup> وحراستها في اجتياز هذه العقبّة وحمايتها من التدافع، وكذلك من محاولات السرقة التي تتعرض لها القافلة خاصة في مناطق العقاب. النظام الثاني: وهو نظام حراسة الدّرْب بين المناهل في المنازل وبقية الدّرْب، وهو المعروف بنظام أدراك<sup>٥٤</sup> الحراسة، فكان يقع على عاتق القبائل العربية التي تقطن بالقرب من الدّرْب، وذلك مقابل جراية عينية ومرتبات تُدفع لهم كل موسم من قبل أمير الحجاج في ذهابه وعودته من الحج.

فقد أورد لنا العمريّ نص في غاية الأهمية في موسوعته الذي خص القبائل العربية منه بمجلد، حيث ورد فيه تقسيم أدراك قبائل طرق الحجاج ومنها دّرْب الحجاج المصريّ، وقد نقل هذا النص عن العمريّ العديد من المؤرخين من جاؤوا بعده، وذلك بنصه دون تعديل أو تغيير منهم القلقشندى والمقريزي، أو جعلوه أساساً لكتابتهم في هذا الموضوع ومنهم الجزيري مع إضافة ما حدث من تغييرات في أيامه، وهذا نص ما ورد عند العمريّ فيما يتعلق بتبعية منزل عَرَاقِيبَ البُغْلِ لمن من القبائل التي تقطن المنطقة، فكان على العايد<sup>٥٥</sup> بطن من بطون قبيلة جُذام حيث قال: «فأما طريق الركب المصريّ: من القاهرة إلى عقبّة أيلة لعايد<sup>٥٦</sup>». وهو ما ذكره القلقشندى فقال: «أما العُربان بالدرب المصريّ إلى مكة، فمن بركة

كتخدا عزبان الدمرداشي، الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق دانيال كريسيليوس وعبدالوهاب بكر، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٥٥، ح(٩٥)؛ لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط ١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢١٣؛ جبران مسعود، الرائد قاموس عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ج ١، ص ٦٦٧. العايد: وهم العايد أو العائد أو العائد، بطن من بطون جُذام من القحطانية، مساكنهم فيما بين بلبس من الديار المصرية إلى عقبّة أيلة إلى الكرك، وامتدت مساكنهم إلى شمال سيناء، ولكن تركوا سيناء وقطنوا الشرقية ومنهم الآن فرعين العايدى والأباضية، للمزيد انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى العمري، مسالك الأبصار في مالک الأبصار «قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين»، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، ط ١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ١٧٥؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣٣، ج ٤، ص ٢٨٤؛ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٣٣؛ فلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٦٤-٦٥؛ المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مكتبة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٧٠٠؛ غالي، سيناء المصرية، ص ٤٦-٤٧. الأحوي، العيايدة: نسبهم وفروعهم وديارهم (١-٢)، مجلة العرب، السنة ٣٤، ج ٧-٨، دار اليمامة، الرياض، رجب-الربيعان ١٤٢٠هـ/مايو-أغسطس ١٩٩٩م، ص ٥٤٧-٥٥٨، ٦٧٦-٦٨٨؛ عبد المالك، قبائل شبه جزيرة سيناء، ص ٥٠-٥٣.

العمريّ، مسالك الأبصار، ص ١٨٧-١٨٨؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج ٦، ص ١١؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣٣، ج ٤، ص ٢٨٤-٢٨٥؛ المقريزي، البيان والإعراب، ص ٧٢.

التقطير والتعقيب: أن تقطر الإبل بعضها إلى بعض على نسق واحد، وتقطير الإبل من القطار وقطرها قربها بعضها إلى بعض على نسق والجمع قطر وقطرات، وبالنسبة لقافلة الحجاج هو تنظيم سير الإبل بنظام معين خلف بعضها البعض في صف واحد، وبدأ نظام تقطير قافلة الحجاج منذ سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م على يد أمير الحجاج المصري شهاب الدين بن جمال الدين الأستادار حيث جعلت القافلة قطارين، كانت تصل إلى أربعة خاصة في الأماكن الرحبة المتسعة من الأرض، وتضم لتكون قطار واحد أو قطارين خاصة في العقبات، للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٤١٢؛ المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٥٣؛ الظاهري، كشف المسالك، ص ١٦٥-١٦٧؛ ابن فهد، إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٥٤-٤٥٥؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٧، ٢٤٧-٢٨٨، ج ٢، ص ١٣٢٢؛ الخياري، تحفة الأديب، ج ٣، ص ١٧٨-١٧٩، ١٨١، ١٨٤؛ محمد ليب البتوني، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ١٠٩؛ سليمان صالح كمال، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٢٤٧هـ، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٤٧، ٤٨؛ جابر سلامة المصري، الحجاج المصري في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، مج ٣٣، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ١٥٣؛ الشامي، الطرق والمسالك، ص ٢١٥، ٢٧١-٢٧٢؛ سميرة فهيم على عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية «٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م»، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٢٠١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤٨.

الأدراك: أو الأدراك جمع ومفرد ادراك، وهي المسافة المعلومة بين مكانين معروفين، وما بينها يكون حراسته وحفظ الأمن فيه مسئولية قبيلة معينة معروفة، وذلك مقابل غلوفات وجوامك عينيه ومادية تُصرف لهم كل موسم، ورجال الدّرك يطلق على قوة عسكرية تحافظ على الأمن الداخلي في البلدان، وهي التي يسمونها جاندرمه، والواحد منهم دّرْكي، وقد تُحرك دّرْكي، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ أحمد

الحُجَّاج إلى عَقَبَةُ أَيْلَةَ للعائد من عرب الشرقية»<sup>٥٧</sup>. كما أن القَلْقَشَنْدِي عند حديثه عن قبيلة جُدَّام في القسم الخاص بالعرب الباقية بموسوعته ذكر أن دَرَك المنطقة في عهده كان على بطن العائد من بطون قبيلة جُدَّام حيث قال: «ومن جُدَّام بالشرقية العائد، وهم بطن من جُدَّام عليهم دَرَك الحُجَّاج إلى العَقَبَةُ»<sup>٥٨</sup>.

وقد استمر هذا التقسيم بقية العصر المملوكى وطوال العصر العثماني مع بعض التغيير الطفيف في أدْرَاك الحراسة بين القبائل، أو تغيير حدود الأدْرَاك نفسها حتى توقف طريق البَر، فكان الربع الأول وبالتالي منزل عَرَاقِيبِ البُعل على أمير عُزْبَانَ العَايد وعلى جماعته وهم من جُدَّام بالشرقية، وذلك مقابل أقطاعات وعوائد تؤدَّى إليهم من قِبَل السلطان أو من ينوب عنه، وابتدأه من أول صحراء القاهرة وْحَانَ داود باشا والى مِصْرَ (٩٤٥-٩٥٦هـ/١٥٣٨-١٥٤٩م) بِبِرْكَةِ الحُجَّاج، إلى الحمام بنهاية عَقَبَةُ أَيْلَةَ، وهو بجانب البحر المالح قُبيل قلعة العَقَبَةُ، محل زينة أمير الحُجَّاج بعد نزوله من عَقَبَةُ أَيْلَةَ، وإلى هنا ينتهى حدُّ الدَّرَكِ الأول، وذلك لأن دَرَك عَقَبَةُ أَيْلَةَ نفسه يقع على عاتق عُزْبَانَ بنى عَطِيَّة في ذلك الوقت، ثم لما استولى بَنُو عَطِيَّة على الدَّرَكِ، وغلبوا عليه، وكثر فسادهم واشتهر عنادهم، بعد أن كانوا عربان حمل إمْرَةَ الحُجَّاج من القاهرة إلى عَقَبَةُ أَيْلَةَ، ومن هنا قرر معهم أمير العَايد حماية الدَّرَب في منطقة نُقْبِ العَقَبَةُ مقابل جباية تدفع لهم كل سنة، ثم ادَّعى أمير العَايد أن محل بَنُو عَطِيَّة من نَحْل إلى الحمام، ومن هنا أصبح هذا المحل من نَحْل إلى السَطْح دون خفارة ولا صاحب دَرَك، وهو الوضع الذى كان في عهد الجزيرى الذى كان مرافقاً لقافلة الحُجَّاج لعدة سنوات متصلة<sup>٥٩</sup>.

## المنشآت المعمارية والنقوش الكتابية

تتضمن المنطقة على الطريق المقطوع في أصل الجبل، وبقايا منشآت معمارية مختلفة الوظائف منها برجين، وبقايا مبنى ربما يكون مسجد، ومساكن عمال المَحْجَرِ ورجال حامية قافلة الحُجَّاج وعُزْبَانَ الدَّرَك، ونقشين أحدهما تذكاري تاريخي إنشائي وهو محور البحث والدراسة والتحقيق هنا، ونقش آخر وهو رنك كتابي تذكاري، والآثار المعمارية والنقوش الكتابية التذكارية الباقية في المنطقة على النحو الآتى:

### ١. الطريق المقطوع في الجبل وبُرجيه

مما لا شك فيه أن عملية قطع الجبال والعقَاب لتمهيد الطُرق تُعتبر من الأعمال الهامة التى يجب أن تُحسب للمعمار الإسلامى في مجال إعمار الطُرق بتمهيدها وتسهيلها، وأول من قام بهذا العمل - على حد علمي - بمنطقة العقَاب في شبه جزيرة سَيْنَاء بصفة عامة وبمنطقة عَقَبَةُ أَيْلَةَ بصفة خاصة هو الأمير أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٤م)

<sup>٥٩</sup> الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٣١٢-١٣١٤، ١٣٢٩-١٣٣٠، ١٣٣٩-١٣٤٧.

<sup>٥٧</sup> القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣٣.

<sup>٥٨</sup> القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣٣.

وذلك سنة ٢٦٢هـ/ ٨٦٥م، حيث عهد ابنه خماروية إلى مولاه فائق بمهمة إصلاح وتسوية طريق هذه العقبة<sup>٦٠</sup>، وهو ما ذكره لنا المقرئى (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) حيث قال: «كانت العقبة صعبة السلوك، إلى أن أصلحها الأمير أحمد بن طولون، وسوى طريقها التى كانت محجراً، فمن يومئذ سلك طريقها»<sup>٦١</sup>.

ثم تمت فى المنطقة عدة أعمال خلال العصور الإسلامية المتعاقبة، لعل أهمها ما كان فى العصرين المملوكى والعثمانى وبداية العصر الحديث، وكانت هذه الأعمال تتم تحديداً فى المنطقة المعروفة بعقبة أيلة، ومنها تلك الأعمال التى تمت فى العصر المملوكى خاصة تلك التى نُفذت فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>٦٢</sup>، ومن بعدها تلك التى تمت فى عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م، ٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م)، حيث تم إصلاح هذه العقبة فى شهر رجب سنة ٧٥٦هـ/ يوليو - أغسطس ١٣٥٥م<sup>٦٣</sup>، ثم أُصلحت ومُهدت زمن السلطان المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) فى سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م حيث أرسل من مهدها، ووسع مضيقها، وسهل صعبها<sup>٦٤</sup>، وكانت خاتمة هذه الأعمال فى هذا العصر تلك التى تمت فى عهد السلطان قانصوه الغورى، فقد أنجزت أعمال إصلاح وقطع للعراقيب فى عقبة أيلة بجانب أعمال معمارية وقطع للعراقيب بالمُنزل عراقيب البعل موضع البحث، وذلك على يد الأمير خايز بك المعمار، وهى أعمال غير مسبوقة فى هذه المنطقة من حيث طبيعة العمل

٦٠ ج ٩، ص ٨٢، ١٠٤؛ ابن فهد، إتخاف الورى، ج ٣، ص ١٦٤؛ ابن الجيعان، المجموع الظريف، لوحة ١١٤-٢٢٠، ١٢٣، ص ٢٢٨-٢٣٩، ٢٤٤؛ الجزيرى، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢، ص ١٣٣٣، ج ٣، ص ١٧٠٠، ١٧٠٤؛ البتونى، الرحلة، ص ١١٠؛ جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس فى مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٢٦؛ على بن حسين السليمان، علاقات مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٨٧؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتائجه العلمى والأدبى، القاهرة، ١٩٤٧م، ج ٢، ص ١٧٣؛ غوانمة، أيلة، ص ٧٥؛ التاريخ السياسى لشرق الأردن فى العصر المملوكى «المماليك البحرية»، ط ٢، دار الفكر للنشر، عمّان، ١٩٨٢م، ص ١٨٧؛ محمد محمد التهامى، الإصلاحات المملوكية فى الأراضى الحجازية، مجلة الدارة، س ١١، ١٤، شوال ١٤٠٥هـ/ يونيو ١٩٨٥م، ص ٨٨؛ حصّة ناصر المبارك، الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية فى عصره (٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٣-١٣٤١م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٤؛ إبراهيم حلمى، المحمل «رحلات شعبية فى وجدان أمة»، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٤٠؛ درادكه، طرق الحج الشامى، ص ٢٦٧.

٦٣ شقير، تاريخ سيناء، ص ٢٠٤؛ رفعت الجوهري، سيناء أرض القمر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٦٤م، ص ٩١-٩٢؛ بكر، دروب الحجيج، ص ١١٥؛ غوانمة، أيلة، ص ٧٥.

B. Rothenberg, *God's Wilderness*, p. 181, 182; Sh. Tamari, «Darb al-Hajj», p. 521, n° 26, pl. XV.

٦٤ الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلانى، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حشى، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٥٣٩.

٦١ المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، د. ت، ج ١، ص ١٨٤، ٢١٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٧؛ الجزيرى، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢، ص ١٣٣٤؛ الدرعى، ملخص رحلتى، ص ٦٤؛ الجاسر، فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (٣) «٣- مع ابن عبدالسلام الدرعى المغربى فى رحلته»، مجلة العرب، س ٩، ع ٩-١٠، الرياض، الربيع ١٣٩٥هـ/ ابريل - مايو ١٩٧٥م، ص ٦٦٠؛ رمزى بك، رأس النقب وخليج العقبة «هملة البرنس أرناط على الأراضى المقدسة الإسلامية عام ٥٧٨هـ»، مجلة الرسالة، س ١٥، ع ٧١٢، القاهرة، الاثنين ٢٤ فبراير ١٩٤٧م، ص ٢٢٣؛ يوسف حسن درويش غوانمة، أيلة «العقبة» والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والإستراتيجية، ط ١، دار هشام للنشر والتوزيع، أربد، ١٩٨٤م، ص ٧٥؛ محمد محمود محمدى، التراث الجغرافى الإسلامى، ط ٢، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٩٩-٤٠٠؛ عبّان، نقشان، ص ٨٤؛ الآثار الإسلامية (٢)، ص ٢١٩.

J. Jomier, *Le Mahmal et la caravane égyptienne des pèlerins de La Mekke (XIII<sup>e</sup>-XX<sup>e</sup> siècles)*, Ifao, Le Caire, 1953, p. 187; Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Ġūrī*, p. 175; *id.*, «Darb al-Hajj», p. 505; J.-M. Mouton, *Le Sinaï médiéval «un espace stratégique de l'islam»*, Paris, 2000, p. 159.

٦١ المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٨٤.

٦٢ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٢٨؛ المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٨٩؛ الذهب المسبوك، تحقيق الشيبلى، ص ١٠٢، ١٠٦-١٠٧؛ تحقيق الجاسر، ص ٤٧، ٤٩؛ مقدمة كتاب العقد الثمين المحقق، ج ١، ص ١٣٠، ١٣٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٩، ص ٦٠، ط دار الكتب العلمية،

التي تمت فيها، حيث صدر مرسوم من السلطان قانصوه الغوري إلى خايز بك المعمار بقطع الجبل وتمهيد عقباته توسعة للطريق، وقد ورد في النقش التذكاري التاريخي الإنشائي الذي بنفس المنطقة ما تم بها من أعمال ممثلة في قطع الجبل بما نصه: «رسم بقطع هذا الجبل المسمى عراقيب البعل توسعة لطرق المسلمين». وكان هذا العمل ضمن مشروع المتكامل لثاني أكبر عمارة تمت على درب الحجاج المصري منذ ازدهاره خلال العصر المملوكي وبعد عمارة الأمير آل ملك الجوكندار زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

وقد تم العمل في الربع الأول من درب الحجاج المصري خاصة في المسافة الممتدة من عجرود إلى قلعة العقبة من خلال مرحلتين منفصلتين، المرحلة الأولى كانت بداية العمل فيها منذ شهر ربيع الآخر سنة ٩١٤هـ / أغسطس ١٥٠٨م، واستمر العمل إلى شهر رجب ٩١٥هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م، أي أن العمل في هذه المرحلة استغرق حوالي سنة وأربعة أشهر، وقد أنشأ خايز بك المعمار في هذه المدة الوجيزة قياساً بحجم العمل الذي أنجز في هذه المرحلة مجموعة كبيرة من العمائر منها عمارة خان وحواصل وأبراج ورصيف في العقبة، وبُرج في عجرود وآخر في نخل، كما قام بقطع الأماكن الصعبة التي كان بها عراقيب خاصة تلك التي في عقبة أيلة نفسها<sup>٦٥</sup>، وقد ذكرت عملية قطع الأماكن الصعبة التي كانت بالعراقيب جملةً والتي ربما يكون من جملتها عقبة جبل عراقيب البعل، فقد ذكر لنا المؤرخ ابن إياس (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) المعاصر للأحداث في تلك الفترة ذلك بصفة العموم لا التخصيص فقال: «وقطع الأماكن الصعبة التي كانت بالعراقيب»<sup>٦٦</sup>. وقد لا تكون من ضمنها وهو الذي أرجحه بل لا أريد أن أقول أو كده، وذلك لأن عراقيب أيلة التي تلي هذه العراقيب مباشرة من الناحية الشرقية تم العثور فيها على نقش تذكاري إنشائي يؤرخ لقطعها في سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م ورد فيه فيما يتعلق بقطع الطريق ما نصه: «أمر بقطع هذا الطريق المبارك»<sup>٦٧</sup>.

كما أن ابن عبدالسلام الدرعي (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) الذي حج مرتين وسجل ذلك في رحلته الكبرى سنة ١١٩٦هـ / ١٧٨١م والصغرى سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م أشار إلى عمارة الغوري وتاريخها في عقبة أيلة، فقال في رحلته الكبرى بما نصه: «... إصلاحا بعده السلطان الأشرف الغوري آخر ملوك الشراكسة من جملة ما أنعم في طريق الحجاز في أواخر عمره قبل العشرين وتسعمائة»<sup>٦٨</sup>.

أي أن العمل الذي تم في العراقيب في المرحلة الأولى كان في منطقة عراقيب عقبة أيلة المشهورة فقط لا في عقبة عراقيب البعل محل الدراسة هنا، أو على الأقل أن تنفيذ النقشين الكتابيين لم يكن في هذه المرحلة كما سنثبت بعد ذلك. أما المرحلة الثانية فقد بدأت بعد عودة خايز بك المعمار من مكة المشرفة وانتهاء عمارة السلطان فيها، وذهابه مرة ثانية لتعمير عراقيب البعل حسبما ورد عند ابن إياس، ولكن الذي يجب التنبيه عليه أن ابن إياس يعطينا فقط تاريخ

<sup>٦٥</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٣٣، ١٤٤، ١٥١-١٥٢، ١٦٣. <sup>٦٦</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٥١-١٥٢. <sup>٦٧</sup> شقير، تاريخ سينا، ص ٢٠٤؛ بكر، دروب الحجيج، ص ١١٥؛ غوانمة، أيلة، ص ٧٥-٧٦؛ عبدالملك، درب الحجاج همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين، ص ٣٠٤-٣٠٥.

<sup>٦٨</sup> يلاحظ وجود خطأ في نص ابن عبدالسلام الدرعي أولها أن الغوري لم يكن آخر سلاطين المالك الجراكسة وكان آخرهم طومانباي، وثانيها ذكر ٧٢٠هـ بدلاً من ٩٢٠هـ، وانظر: الدرعي، رحلتي، ص ٦٥؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (٣)، ص ٦٦٠-٦٦١.

عودة خَايزِ بَكِ المَعْمَارِ بعد الانتهاء من عمارة العَرَاقِيبِ دون ذكر الوقت الذى سافر فيه للقيام بهذه العمارة، ولكن يمكن القول باطمئنان أن عملية تنفيذ نقش الكتابات التذكارية في عَرَاقِيبِ البَغْلِ قد تمت في المرحلة الثانية لا الأولى، لأنه فيما يبدو أن أعمال خَايزِ بَكِ السابقة التى تمت في المنطقة لم تكن كافية وفي حاجة إلى إصلاح وتنظيف من الحجارة وتسهيل وتمهيد ومرّ عليها أكثر من خمس سنوات ونصف السنة، بالإضافة إلى ذهاب ابن السلطان المقر الناصرى الأمير محمد وخَوْنُد<sup>٦٩</sup> زوج السلطان إلى الحج في هذه السنة، فذهب مرة ثانية لإصلاح هذه العَرَاقِيبِ وغيرها بطريق العَقَبَةِ وعاد من هذه المهمة الجديدة في شهر صفر سنة ٩٢١هـ/ مارس - أبريل ١٥١٥م حيث ذكر ذلك ابن إياس فقال: «وحضر الأمير خَايزِ بِيكِ المَعْمَارِ، وكان توجّه إلى العَقَبَةِ بسبب إصلاح العَرَاقِيبِ التى بطريق العَقَبَةِ لأجل خَوْنُدِ وابن السلطان قبل أن يجوا إلى العَقَبَةِ»<sup>٧٠</sup>. وهذا يعطينا فكرة على أن نقش السلطان قَانِصَوُهَ العُورَى في عَرَاقِيبِ البَغْلِ يؤرخ بالفترة السالفة الذكر خلال المرة الثانية لا الأولى الممتدة من بعد ذهاب ابن وزوج السلطان وعودة خَايزِ بَكِ المَعْمَارِ من العَقَبَةِ حيث ذكر ابن إياس بما نصه: «قبل أن يجوا إلى العَقَبَةِ» مما يدل على ذهابه لإنجاز هذه المهمة بعد سفرهم لا قبل ذلك، وذلك نظراً لتخرب وضياع الجزء الذى به تاريخ النقش وهو ما سنناقشه بالتفصيل عند الحديث عن تأريخ النقش الذى هو محور البحث والتحقيق.

وقد ورد وصف هذه العَرَاقِيبِ عند العديد من الرحالة الذين مروا بالمنطقة، فذكر وصفها الجزيرى حيث قال: «مما أصلح ذلك وسهلت طُرقه بأمر السلطان قَانِصَوُهَ العُورَى على يد خَايزِ بَكِ المَعْمَارِ أحد المقدمين أثابه الله تعالى»<sup>٧١</sup>. ولكن يلاحظ أنه لم يحدد تاريخ معين لهذه العمارة التى قام بها خَايزِ بَكِ المَعْمَارِ فى عهد السلطان قَانِصَوُهَ العُورَى. كما أشار الرحالة المغربى أبو سالم العياشى إلى العَقَبَةِ وذكرها بأنها نُحِتتِ وَسُوِّيتِ وُئِنِتِ حيث قال: «عَرُقُوبِ البَغْلَةِ وهى عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ إلا أنها نُحِتتِ وَسُوِّيتِ وُئِنِتِ»<sup>٧٢</sup>. وقد نقل عن العياشى العديد من الرحالة ممن مروا بالمنطقة واعتمدوا على ما ورد فى رحلته، منهم الرحالة الذبَادِى الذى توجه لأداء فريضة الحج سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٤م<sup>٧٣</sup>، وابن عبد السلام الدرعى<sup>٧٤</sup>.

ثم ورد ذكرها عند النابلسى - وهو أول رحالة أشار إلى وجود النقش - عندما مر بالمنطقة يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١١٠٥هـ/ ١٦ مارس ١٦٩٤م، ووصف هذه العَقَبَةَ حيث قال: «مررنا فى الطريق على عَقَبَةٍ هناك تُسمى عَقَبَةُ العَرُقُوبِ فنزلنا منها فى مُنحدر عميق حتى وجدنا هناك تاريخاً منقوراً فى صخورها مضمونه أن السلطان الملك قَانِصَوُهَ العُورَى أمر بقطع هذه العَقَبَةَ فجزاه الله تعالى خيراً عن أبناء السبيل وحصل التيسير والتسهيل»<sup>٧٥</sup>.

<sup>٦٩</sup> خَوْنُد: يفتح الحاء والواو وسكون النون، وهى فى الفارسية السيد العظيم

والأمير، استعملت فى العربية بمعنى السيد أو السيدة، للمزيد انظر:

<sup>٧٣</sup> الذبَادِى، الرحلة الراشدة، ص ٥٨؛ بلوغ المرام، ص ٥٨.  
<sup>٧٤</sup> الدرعى، رحلتى، ص ٦٣؛ الجاسر، فى رحاب الحرمين (٣)، ص ٦٦٠ - ٦٦١؛ فى رحاب الحرمين (١١)، ص ٧٢؛ فى رحاب الحرمين (١٥)، ص ٥٣١.

<sup>٧٥</sup> النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٠٥.

<sup>٧٠</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٤٤.

<sup>٧١</sup> الجزيرى، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢، ص ١٣٣٢.

وقد ذكر هذا الطريق المقطوع في الجبل بعد النابلسي بأكثر من ست ومائة سنة الرحالة أبي العباس الفاسي حيث قال: «مر الراكب عند الغروب بمحجة منحوتة في جبل في غاية الضخامة يدل ذلك على عظم ملك من نحت تلك الطريق بذلك الموضع ويُسمى ذلك .. المنحوت عرقوب البعل»<sup>٧٦</sup>.

وذكرها بعد ذلك في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي محمد بيك صادق (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) وبالتحديد في سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م عند ذهابه وعودته بالمحمل من طريق البر، ولكنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى النقش التذكاري حيث قال: «محجر منقور في الجبل مستوى السطح والانحدار عرضه عشرة أمتار في طول ثلاثمائة متر وعلى يمين الطريق قبر مبنى بحجر نحت»<sup>٧٧</sup>.

وقد قمت بالعمل بالموقع ومعاينة بقية عملية قطع الجبل حيث لا تزال معاول الحجارين واضحة خاصة في الناحية الجنوبية من الممر المقطوع في الجبل، وهي تدل على ما بُذل من مجهود في قطع وتمهيد وتسهيل هذه العقبة الكؤود في درب الحجاج المصري، وبعد المعاينة لمكان عملية قطع الجبل سألت نفسي أين وضع المعمار ناتج عملية القطع؟ خاصة أن المساحة التي تم قطعها كبيرة في حين لا توجد منشآت معمارية بالمنطقة يمكن الاستفادة من الأحجار التي تم قطعها في تعميرها، فالمبنى الصغير أو المسجد من العصر العثماني، ومباني عمال المحجر أو عربان درك حراسة المنطقة بُنيت من الأحجار الطبيعية التي في المنطقة ولم تُقطع، وقد تكون هي بدورها سابقة على عملية قطع الجبل، وبناءً على ما سبق تم فحص المنطقة وقمت بعمل مسوحات آثارية كان من نتائجها العثور على مكان إلقاء ناتج عملية القطع وذلك خلف الجبل الجنوبي الذي تمت فيه عملية القطع من الناحية الجنوبية بالطرف الشرقي منها، وبالتحديد خلف المنطقة التي توجد بها النقوش الكتابية التذكارية، ولا تزال بقايا مخلفات عملية القطع موجودة في مكانها رغم مرور فترة طويلة عليها، وهي تدل على ذلك المجهود الذي بُذل في قطع هذا الجبل وتسويته وتمهيده.

أما المحجر أو الممر نفسه الذي قام خايز بك المعمار بتنفيذ المرسوم الصادر له بقطع الجبل فيه فيبلغ طوله حوالي ٣٠٠ م، والعقبة نفسها طولها حوالي ٢٠٠ م وعرضها حوالي ١٠٠ م، حيث قطع الطريق في الهضبة الجيرية بطول حوالي ١٨٠ م من الشرق إلى الغرب، وبعرض حوالي ١٠ م إلى ١٥ م في أسفل الممر، أما أعلاه فكان يصل إلى ٢٥ م وذلك من الشمال إلى الجنوب، وبعمق حوالي ١,٥٠ م في الغرب، ومن ٤ م إلى ٥ م في الشرق خاصة في الجزء الشمالي الشرقي أكثر نقاط المنطقة ارتفاعاً، وبالتالي تكون الكمية أو المساحة التي تم قطعها بالمتر المربع تقدر بحوالي ٤٠٥٠ م<sup>٣</sup> إلى ١٢١٥٠ م<sup>٣</sup>، أي أن الممر قطع في الهضبة بنسبة من ٦٪ إلى ١٥٪ من إجمالي المساحة الكلية للهضبة<sup>٧٨</sup>.

وكان الطريق المقطوع في الجبل ينتهي ببرجين، الهدف منها حماية وتأمين عبور قافلة الحجاج دون حدوث زحام أو ارتباك أو نهب القافلة أثناء عبورها، وللأسف فإن هذين البرجين غير موجودين الآن حيث تمت إزالتها عند تعبيد الطريق في التسعينيات من القرن الماضي بسبب تقاعس مسئولى الآثار في سيناء في تلك الفترة، ولم يتبق سوى بعض

<sup>٧٦</sup> الفاسي، الرحلة إلى الأراضي الحجازية، ص ٧١-٧٢.

<sup>٧٧</sup> محمد بك صادق، مشعل المحمل، مطبعة وادي النيل، القاهرة،

١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص ٩-١٠، ٥٤؛ دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من

<sup>٧٨</sup> لوحتان (٢، ٥) من ملاحق البحث. كل فحج، ط ١، المطبعة الأميرية، بولاق، سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، ص ١٠؛

الرحلات الحجازية، إعداد محمد همام فكري، ط ١، بدر للنشر، بيروت،

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٨٠، ١٤٢، ٢٦٨-٢٦٩.

بقايا أساس البرج الجنوبي الشرقي منها إلى الشرق من النقش التذكارى التاريخى والرنك الكتابى بمسافة قريبة منها، كانت مساحة قاعدة كل منها حوالى ١٠ م، واتساعها ٤ م، وارتفاعها ٥٠ م، وفيها يسبق الحراس القافلة لحراستها ومراقبة النزول من هذه العَقَبَة<sup>٧٩</sup>.

ثم يبدأ الممرّ في الانحدار في اتجاه الشرق حتى يصل إلى أصل وادي دبة البُعْلة حيث توجد بقايا مقابر كان يُدفن فيها من يتوفى من الحُجاج، حُدّد كل لحدٍ بحَجْرين، أحدهما بناحية الشرق والآخر بناحية الغرب وبعضها كان عبارة عن نقوش شاهدة، إذ وجد حَجْر شاهدى بقى عليه حرفين كتابيين فقط<sup>٨٠</sup>، ويلاحظ أن وجود المقابر في منازل الدرب كان وضعاً شائعاً على طول درب الحجاج المِصرى.

وبعد وصف الطريق المقطوع في الجبل لتسهيل عملية اجتياز قافلة الحجاج لتلك العَقَبَة يمكن القول أن اهتمام المسلمين بعمارة الطُرق خاصة فيما يتعلق بتسهيل وتمهيد الطُرق عن طريق قطع عَقَبَاتِها يرجع إلى فترة مبكرة من العصر الإسلامى وذلك حسبما ورد في المصادر الجغرافية والتاريخية من إشارات متنوعة تدل على ذلك، أما من حيث النقوش الأثرية الدالة على ذلك ما دمنا بصدد دراسة نقش تذكارى من هذا النوع فأقدم النقوش الأثرية المعروفة حتى الآن من هذا النوع هو نقش تذكارى يرجع إلى العصر الأموى من عهد الخليفة عبدالمالك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م) تم اكتشافه سنة ١٩٦١م في المياه الضحلة عند الشاطئ الجنوبي لبحر الجليل، وهو يُعتبر أول نقش إنشائى معروف حتى الآن من هذا النوع من النقوش يُشير إلى عملية تسهيل إحدى العَقَبَات في أحد الطُرق بالمنطقة محل كشف النقش، ومضمونه أن عبدالمالك بن مروان أمر في سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م الأمير يحيى بن الحكم بتسهيل - أى قطع وتسوية وتمهيد - إحدى العَقَبَات التى كانت تعترض وتعيق مسار طريق المسافرين في تلك المنطقة التى تكثر فيها العَقَاب الوعرة، ويقرأ النقش على النحو التالى: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله أمر/ بتسهيل<sup>٨١</sup> هذه العَقَبَة عبد/ الله عبدالمالك أمير المؤ/ منين وعملت على يدى يحيى بن ا/ لحكم فى المحرم من سنة ثلث/ [وسبعين ... ..]»<sup>٨٢</sup>.

للنشر والإعلام، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٤٠؛ محمد حمزة إساعيل الحداد، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية، المبحث الأول، دراسات أثرية (٢)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، محرم ١٤٢١هـ/ إبريل ٢٠٠٠م، ص ٢٨، ١٥٠، ٢٠٨، شكل (٤).

M. Sharon, *Notes and Communications: An Arabic Inscription from the Time of the Caliph 'Abd Al-Malik*, BSOAS XXIX, Londres, 1966, p. 367-372, pl. I; S. Al-Rashid, *Darb Zubaydah: The Pilgrim Road from Kufa to Mecca*, Riyadh University Libraries, Riad, 1980, p. 11-12.

Sh. Tamari, A. Hashimshoni, *The Cut in the Pass at 'Aqabat al-'Urquq*, p. 290-291; id., « Darb al-Hajj », p. 521, 522, n° 27, fig. 12, pls. III a, XIV a, b.

Sh. Tamari, A. Hashimshoni, *The Cut in the Pass at 'Aqabat al-'Urquq*, p. 290-292.

التسهيل: أى التيسير، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٧٢٩. <sup>٨٢</sup> النقش محفوظ الآن في المتحف الإسرائيلى بالقدس المحتلة، وقد نُقِدَ على حجر بازلتى بالخط الكوفى البسيط الغائر، ارتفاعه ٦٤ سم، وعرضه ٥٢ سم، وسمكه ١٥ سم، ويتكون من تسعة أسطر، شكل (٢) من ملاحق البحث؛ للمزيد انظر: سعد عبدالعزيز سعد الراشد، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة «دراسة تاريخية وحضارية أثرية»، ط ١، دار الوطن

وبعد العثور على هذا النقش وغيره من نقوش الأميال في العصر الأموي<sup>٨٣</sup>، يُمكن القول أن عبدالمملك ابن مروان هو أول من اهتم بعمارة الطرق<sup>٨٤</sup>، وليس كما ردد المؤرخون القدامى<sup>٨٥</sup> ومن نقل عنهم من المحدثين<sup>٨٦</sup> من أن الوليد بن

أربعة أحجار ميلية من العصر العباسي «دراسة وتحقيق»، مجلة العصور، مج ٥، ج ١، دار المريخ، لندن، جمادى الثاني ١٤١٠هـ/ يناير ١٩٩٠م، ص ١٢٥ حاشية (١٢)، ١٣٣-١٣٤، ١٤٠، لوحة (٤)، شكل (٥)، (٦)؛ محمد حتاملة، قالب ختم جند الأردن «دراسة تحليلية»، مجلة أبحاث اليرموك، مج ١٧، ع ٢٤، جامعة اليرموك، حزيران ٢٠٠١م، ص ٢٨٢؛ الحداد، النقوش الكتابية، ص ٢٨، ١٤٩-١٥٠، ٢٠٧، شكل (٣)؛ عبدالمملك، نقوش عمارة الطرق في الحضارة الإسلامية «دراسة تاريخية - آثارية»، بحث ألقى في المنتدى الدولي الثاني للنقوش والخطوط والكتابات في العالم عبر العصور، مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية، الفترة ٢٤-٢٦ إبريل ٢٠٠٥م، ص ٧.

Charles Clermont-Ganneau, *Archaeological Researches in Palestine*, p. 35-36; MIFAO, p. 17-29; M. V. Berchem, *Inscriptions arabes de Syrie*, MIE III, Le Caire, 1900, p. 418-419; R. Dussaud, *Les monuments palestiniens et judaïques*, Paris, 1921, p. 82; Al-Rashid, *Darb Zubaydah*, p. 229-241, pl. XXXVIII n° 1, 2; A. Elad, *The Southern Golan in the Early Muslim Period: The Significance of Two Newly Discovered of 'Abd al-Malik*, *Der Islam* 79, Berlin, 1999, p. 33-88; T. Bittar, *Pierres et stucs épigraphiés*, Paris, 2003, p. 35-39, pl. I, figs. I a, b, c. أحمد، الصوّة، ص ٩٦؛ الراشد، أربعة أحجار ميلية، ص ١٢٥؛ درب زبيدة، ص ٤٠، ٣٣٨؛ الحداد، النقوش الكتابية، ص ١٤٩، ٢٨.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ج ٦، ص ٤٣٧؛ القلقشندي، مآثر الأئمة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٤م، ج ١، ص ١٢٦؛ المقرئ، الذهب المسبوك، تحقيق الشيال، ص ١٨، ٣٠؛ بدر الدين محمود العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م، ص ٢٢٦؛ صالح أحمد العلي، طرق المواصلات في بلاد العرب (١)، مجلة العرب، ص ٢، ج ١١، الرياض، جمادى الأولى ١٣٨٨هـ/ آب ١٩٦٨م، ص ٩٧٤-٩٧٥؛ أحمد، الصوّة، ص ٩٦؛ الحداد، النقوش الكتابية، ص ٢٨، ١٤٩؛ حتاملة، قالب ختم، ص ٢٨٢.

العلي، طرق المواصلات (١)، ص ٩٧٤-٩٧٥؛ طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب، في كتاب الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٠٥؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري وآخرون، المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام - دراسة توثيقية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، مج ١، ص ٣٣؛ الحداد، النقوش الكتابية، ص ٢٨، ١٥٠ حاشية (٧٠).

Al-Rashid, *Darb Zubaydah*, p. 8.

تم اكتشاف ستة أحجار ميلية في فلسطين حتى الآن، الحجر الأول عُثر عليه سنة ١٨٨٤م في خرائب خان حترورة وهو محفوظ في تركيا بمتحف تشينلي كوشك، والباقي منه سبعة أسطر، وكُتب بالخط الكوفي البسيط الغائر، يقرأ: وسلم [أمر بعمارة] هذا الطريق و/ صنعة الأميال عبد الله عبدالمملك أ/ مير المؤمنين رحم الله/ عليه من دمشق إلى هذا الميل تسعة ومائة ميل. والحجر الثاني عُثر عليه سنة ١٨٨٤م بالقرب من باب الواد بالرملة، و محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس، وباقي منه خمسة أسطر وذلك بالخط الكوفي الغائر البسيط الموجود، ويحيط بالنقش إطار من زخارف نباتية محورة أرابسك، ويقرأ: الطريق [وصنعة الأميال] / عبدالله عبدالمملك/ أمير المؤمنين رحمت الله/ عليه من إيليا إلى هذا الميل ثمانية أميال. والحجر الثالث عُثر عليه في دير القلت، والباقي منه ستة أسطر بالخط الكوفي الغائر، ويقرأ: [وصنعة الاميال] ل عبد الله [عبد ا] لملك أمير [المؤمنين] رحمت ا/ [الله عليه] من دمشق إلى هذا الميل / [..] [أ] ميل ومائة ميل. والحجر الرابع عُثر عليه سنة ١٩٠٢م بالقرب من بلدة غوش و محفوظ في كنيسة البندكتين في نفس البلدة بين أريحا والقدس، والباقي منه خمسة أسطر بالخط الكوفي الغائر، ويقرأ: [هذا الطريق وصنعة] / [عبدالله عبدالمملك] أمير المؤمنين رحمت الله/ عليه من إيليا إلى [..] سبعة أميال. والحجر الخامس عُثر عليه سنة ١٩٦٨م بقرية فيق في الجولان، و محفوظ في متحف كازرين Qazrin، مقاساته ٥، ٥×٢٨، ٥×٢٤، ٢سم، ويشتمل على ستة أسطر بالخط الكوفي الغائر، ويقرأ: [لا إله إلا الله لا شريك له] محمد رسول/ ل الله أمر بصنعة هذه الأميال عبد/ الله عبدالمملك أمير المؤمنين على يدي/ مساور مولى أمير المؤمنين في [..] / من سنة خمس وثمانين من دمشق إلى [..] هذا الإثنين وخمسين ميل [..]. والحجر السادس تم العثور عليه في قرية فيق بالجولان، مقاساته ٥، ٥×٨٠، ٣×٣٩سم، ويشتمل على خمسة أسطر بالخط الكوفي الغائر، ويقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم/ لا إله إلا الله لا شريك له محمد رسول/ الله أمر بصنعة هذه الأميال عبد الله عبد/ الملك أمير المؤمنين على يدي مساور مولى أمير المؤمنين/ في شعبان من سنة خمس وثمانين من دمشق إلى هذا ثلاثة [وخمسون ميلا]. للمزيد انظر: الباشا، علامات الطرق عند العرب، مجلة السيارات والسياحة في العالم العربي، جامعة الدول العربية، ع ١٢، القاهرة، يناير - فبراير ١٩٧١م، ص ٤٩-٥٣؛ أميال عبدالمملك بن مروان، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ط ١، أوراق شرقية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٣، ص ٥، لوحة (١٦٢٩)؛ أحمد، الصوّة وصناعة الأميال، المجلة العربية، ص ٣، ع ٧، الرياض، رمضان ١٣٩٩هـ/ أغسطس ١٩٧٩م، ص ٩٤-٩٥؛ صفوان خلف التل، تطور الحروف العربية على أثار القرن الهجري الأول الإسلامية، مطابع دار الشعب، عمّان، ١٩٨٠م، ص ٥٧؛ غوانمة، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، ط ٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٢م، ص ٥٨؛ محمد بن فهد عبدالله النعمر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسائل جامعية، العدد (٢٣)، ط ١، تهامة، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٠٥؛ الراشد، درب زبيدة، ص ٣٣٨؛

عبدالمالك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) هو أول من اهتم بذلك، والصحيح هو أنه سار على نفس نهج والده<sup>٨٧</sup>، فكلف عمر بن عبدالعزيز بتسهيل الطرق والثنايا وحفر الآبار، فعندما توجه لأداء فريضة الحج سنة ٩١هـ/٧٠٩م كتب إلى جميع البلاد ببناء الأميال والمنار في الطرقات وإصلاح الطرق وعمل الآبار بطريق الحجاز<sup>٨٨</sup>، وهو الوضع المؤكد حتى الآن ما لم تحدث اكتشافات آثارية جديدة تُغير من ذلك.

أما في العصر العباسي فتوجد العديد من النقوش تؤكد على الاهتمام بعمارة الطرق في هذا العصر منها نقوش عمارة الطرق ووضع الأميال على درب الحجاج العراقي الشهير بدرب زبيدة في العصر العباسي<sup>٨٩</sup>، وأميال درب الحجاج اليميني الأعلى بين صنعاء ومكة المشرفة<sup>٩٠</sup>.

<sup>٨٧</sup> الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٩٦-٤٩٧؛ الحداد، النقوش الكتابية، ص ٢٨-٢٩.

<sup>٨٨</sup> الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٤٠؛ أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني بن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٠٣؛ القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق جميل عبدالله المصري، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٥٢؛ أبي الحسن علي بن محمد بن الكريم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٤، ص ١٠٩؛ المقرئ، الذهب المسبوك، تحقيق الجاسر، ص ٢٢؛ عبّان، الآثار الإسلامية، ص ١٣٤؛ طراوة، الاهتمام بالحج، ص ٩٢؛ عبدالمالك، درب الحجاج المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين، ص ٢١-٢٢.

<sup>٨٩</sup> ك. س. تويتشل، المملكة العربية السعودية وتطوراتها الطبيعية، ترجمة شكيب الأموي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٩٦؛ مرداد، مدائن صالح، ج ١، ص ١٧٥؛ الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط ٢، مطابع الروضة، جدة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، مج ١، لوحة (ج)؛ بين التاريخ والآثار، ط ٣، مطابع الروضة، جدة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٥١-٥٩، ١٧٨؛ سليمان نصرالله، إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية، مجلة قافلة الزيت، مج ٢٣، ع ١١، الظهران، ١٩٧٤م، لوحة (١٠)؛ جيمس كنودستاد، مشروع درب زبيدة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م «تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة»؛ حولية الأطلال، ع ١، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٦٠-٦٢؛ الفعير، تطور الكتابات، ص ٢٠٢-٢٠٥، ٢٠٧، ٢٣٢-٢٤٧، لوحة (٣٠، ٤١)، شكل (٧)؛ طلال جميل عبدالعاطي الرفاعي، نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٤٥٩-٥٠٩؛

<sup>٩٠</sup> عن نقوش الأميال على درب الحجاج اليميني الأعلى بين صنعاء ومكة انظر: M.A.R Al-Thenayian, *An Archaeological Study of the Yemeni Highland Pilgrim Route Between San'a' and Mecca*, Riad, 1999, p. 158-159.

## ٢. المسجد

ورد ذكر هذا المسجد عند العياشى حيث قال: «وقد مررنا ظهراً بموضع يقال له عَرَفُوب البُغلة .. .. وأتخذ على جانب الطريق مسجد صغير غير مسقف وذلك من عمل الأمير رضوان المتولى لإمارة الحجاج أزماناً طويلة، وكانت له آثار حسنة في طريق الحجاز»<sup>٩١</sup>.

وقد نقل عنه ذلك العديد من الرحالة منهم الذبَادِي<sup>٩٢</sup>، وابن عبدالسلام الدرعى الذى قال: «على جانب الطريق مسجد صغير غير مستكمل، عمل الأمير رضوان المتولى لإمارة الحجاج ما يقرب من ثلاثين سنة، .. .. وكانت له آثار حسنة في طريق الحجاز من قطع الأشجار، وإزالة الأحجار وحفر الآبار، وتجديد البرك»<sup>٩٣</sup>.

فنجد أن هذا المسجد من بناء أمير الحجاج لفترة طويلة الأمير رضوان بك الفقارى<sup>٩٤</sup> في عهد السلطان مُراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/١٦٢٣-١٦٤٠م) وكان الهدف من بنائه هو تحديد اتجاه القبلة في تلك المنطقة الجبلية، للحجاج والتجار والمسافرين والعربان القاطنين في المنطقة ممن تقع عليهم أعمال حراسة الدرك في هذا المنزل من منازل درب الحجاج المِصرى.

ويقع المسجد على يمين المتجه لمكة المشرفة والمدينة الشريفة أعلى الجبل جنوب الطريق المقطوع بحوالى ٢٠م، وبالتحديد جنوب غرب نقشى السلطان قَانِصُوه العُورى.

٢١٤؛ محمد بن على بن فضل الطبرى، تاريخ فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن، تحقيق محسن محمد حسن سليم، ط١، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص ٤٨، ٥٠-٥٧، ٦٧-٦٨، ٧٠؛ الرشيدى، حُسن الصفا، ص ١٨٣-٢٠٨؛ الفاسى، الرحلة، ص ٧٢؛ الدرعى، ملخص رحلتى، ص ٦٣؛ أيوب صبرى باشا، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين في جزيرة العرب، ترجمة ماجدة مخلوف وآخرون، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص ٤٤٩-٤٨٥، ج٢، ص ٤٩١-٥٢٦؛ حسين عبدالله باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط٣، دار تهامة، جدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٩٨؛ عُبَّان، الآثار الإسلامية، ص ٢٥٠، ٢٥٥؛ النقوش العثمانية الباقية على عمائر طريقي الحج الشامى والمِصرى في شمال غرب المملكة العربية السعودية، المؤتمر الثانى لمدونة الآثار العثمانية في العالم، زغوان، تونس، ١٩٩٨م، ص ٢٢٠؛ ناصر بن على الحارثى، باب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ، مجلة عالم المخطوطات والنادر، مج (٤)، ع (١)، الرياض، المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ/ مايو - أكتوبر ١٩٩٩م، ص ١٦٤-١٧٧، لوحات (١-٩) أشكال (١-١٧)؛ الرفاعى وعدنان بن محمد الحارثى، الوثيقة الشاملة لأوقاف رضوان بك بالحجاز ومصر، بحوث تاريخية، الإصدار الثانى عشر، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/ يوليو ٢٠٠١م؛ جمال عبدالرؤوف عبدالعزيز عبدالرؤوف، عمائر رضوان بك بالقاهرة القرن ١١هـ/١٧م «دراسة أثرية - معمارية»، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

P. M. Holt, *The Exalted of Lineage of Ridwan Bey: Some Observation on a Seventeenth Century Mamluk Genealogy*, BSOAS XXII, London, 1959. p. 221-230.

٩١ العياشى، رحلة العياشى، ص ١٩٩-٢٠٠؛ ماء الموائد، ج١، ص ١٦٦؛ مقتطفات، ص ٢١.

٩٢ الذبَادِي، الرحلة الراشدة، ص ٥٨-٥٩.

٩٣ ابن عبدالسلام الدرعى، رحلتى، ص ٦٣؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (٣)، ص ٦٥٩؛ في رحاب الحرمين (١١)، ص ٧٢؛ في رحاب الحرمين (١٥)، ص ٥٣١.

٩٤ رضوان بك الفقارى المعمار: من حاشية البلاط العثمانى، تولى إمارة الحجاج مرتين، المرة الأولى من سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م إلى سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، والمرة الثانية من سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م إلى سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م، وقام بالعديد من الأعمال المعمارية والأوقاف الخيرية، ففى سينا بنى التواطير، ومسجد عراقيب البُعل، والجسر بشال سينا بالقطرة، وعلى درب الحجاج ببلاد الحجاز منها بركة الوجه، وقام بتنظيف الطريق بين نبط ويُنَيْج، كما أنه أرسل سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م من قبل والى مصر محمد باشا الألبانى مندوباً من قبله إلى مكة المشرفة وخوله صلاحية تامة لاتخاذ التدابير المستعجلة لعمارة الكعبة المشرفة بعد تدهورها من جراء السيل الذى حدث فى هذه السنة، كما أشرف على صناعة باب جديد للكعبة المشرفة سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م باسم السلطان مراد الرابع، للمزيد انظر: الحيارى، تحفة الأدياء، ج٣، ص ٢١٠؛ محمد بن على الصديقى بن علان، إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الله الوهاب الجواد، إعداد وتحقيق خالد عزام أحمد الخالدى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٦-١٤٠٧هـ؛ الطبرى، الأراج المسكى، ص ١٥٢-١٥٥؛ العياشى، ماء الموائد، ج١، ص ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦؛ مقتطفات، ص ٢١، ٣٠؛ محمد أمين بن فضل الله الدمشقى المحبى، خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادى عشر، بولاق، ١٢٨٤هـ، ج٢، ص ١٦٤-١٦٦؛ السنجارى، مناقح الكرم، ج٤، ص ٧٥-٨٦، ٩٠-١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٣، ٢١١-

ولا تزال توجد بقايا أساساته بارتفاع مدماكين ما يساوى ٨٢ سم، وقد بُنيت مداميكه بنظام السهل والحمل<sup>٩٥</sup>، وهى كبيرة ومتوسطة الحجم، مقاساتها ٣٤ × ٦٠ × ٣٤ سم، ٤٩ × ٢٤ سم، ٥٥ × ٣٤ سم، ٦٧ × ٦٠ × ٣٤ سم، ٩٦ × ٦٠ × ٣٤ سم، ١٢٣ × ٦٠ × ١٢ سم، وهو شبه مربع التخطيط طول أضلاعه ٥٠، ٤٠ × ٥٠ م، والجزء المتبقى منه بعد أعمال النظافة التى قمت بها عبارة عن أساسات حيث لا توجد به قبلة أو دخلة محراب أو فتحة باب، حيث أن الجزء العلوى منه دارس الآن، وهو يتبع طراز المساجد التى تتكون من وحدة مفردة دون أروقة أو صحن أو وسط أو دُرْقاعة<sup>٩٦</sup>.

وقد يكون هذا المسجد قد تهدم بعد ذلك مما جعل محمد صادق أثناء مروره بالمنطقة سنة ١٨٨٣ م يُشير إليه بأنه قبر مبنى بحَجَر نحت على يمين الذهاب إلى الحجاز<sup>٩٧</sup>، ولكننى لم أعثر على ما يثبت أنه قبر أثناء قيامى بأعمال النظافة بالموقع<sup>٩٨</sup>. وكان يوجد إلى الشمال من المسجد مما يلي الممرّ المقطوع مبنى له نفس مواصفات هذا المسجد<sup>٩٩</sup>، ولكن المبنى غير متواجد الآن تمت إزالته عند توسعة وتعميد الطريق فى تسعينيات القرن المُصرم، وربما كان هذا المبنى عبارة عن بُرج مثل الأبراج التى بنهاية الممرّ من الناحية الشرقية.

### ٣. المحرس ومساكن عمّال المَحَجَرِ أو عُربان الدَرَكَ

وهى تقع أعلى الجبل الشمالى بنهاية الممر فى الناحية الشرقية منه، شمال غرب نقشى قَانِصُوهُ العُورى بقليل، ويفصل بينهما الطريق المقطوع قديماً والمُعَبَد حالياً، وهى عبارة عن حجرات شبه مربعة بُنيت من أحجار طبيعية غير مقطوعة وخلو من مادة البناء وذلك بالطريقة المعروفة بالتصنيف أو الرضم<sup>١٠٠</sup>، فهى عبارة عن أحجار مرصوفة ومضفرة أى متداخلة بينها بعض الحصى والزلط الصغير وأحياناً طمى الوادى، والارتفاع الباقى من هذه المباني حوالى ١١٠ سم، ولها فتحات وأبواب اتساعها حوالى ٦٠ سم، ومساحتها ٢٣٠ × ٢١٤ سم، ٢١٠ × ١٧٠ سم، ١٨٥ × ١٨٠ سم،

<sup>٩٥</sup> عن هذه الطريقة فى البناء انظر: حسن عبدالوهاب، طُرز العمارة الإسلامية فى ريف مصر، مجلة المجمع العلمى المِصرى، مج ٣٨، ج ٢، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١١؛ محمود عكوش، تاريخ وصف الجامع الطولونى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ٣٩؛ زكى محمد حسن، الفن الإسلامى فى مصر من الفتح العربى إلى نهاية العصر الطولونى، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤١.

<sup>٩٦</sup> انظر لوحات أرقام (٣-٥) من ملاحق البحث؛ وعن طُرز عمارة وتخطيط المساجد انظر: عبدالمالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء من العصر الأيوبى «دراسة أثرية - معمارية»، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٤٠٢-٤١٣.

S. S. 'Abd al-Mālik, «Les mosquées du Sinaï», p. 171-180, fig. I30-I40.

<sup>٩٧</sup> صادق، مشعل المحمل، ص ١٠، ٥٤؛ دليل الحج، ص ١٠؛ الرحلات، ص ٨٠، ١٤٢، ٢٦٨.

<sup>٩٨</sup> قُمت خلال رئاستى لبعثة حفائر قلعة نُحُل وأبيار العلاى على درب الحَاجِ المِصرى فى وسط سيناء بأعمال نظافة للموقع خلال يومى ٢٣، ٢٤ من شهر إبريل ٢٠٠٠م، وذلك فى منطقة النقش والمسجد والبيوت، فتأكدلى عدم وجود قبر بمنطقة المسجد.

<sup>٩٩</sup> Sh. Tamari, A. Hashimshoni, *The Cut in the Pass at 'Aqa-bat al-'Urquq*, p. 292; «Darb al-Hajj», p. 509, fig. 12.

<sup>١٠٠</sup> الصَّفْرُ أو الرضم: البناء بحجارة بلا كلس وطين، الرِّضْمُ والرِّضْمُ صخور عظام يُرضم بعضها فوق بعض فى الأبنية، الواحدة رِضْمَةٌ، وهى الصخور بعضها على بعض، وفى المخصص لابن سيده إذا بُنى بحجارة بغير كلس ولا طين فهو: صَفْرٌ - وقد ضفر حول بيته صَفْرًا، للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٦٣-١٦٤، ج ٥، ص ٥١٢؛ أحمد تيمور باشا، أعلام المهندسين فى الإسلام، ط ١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٦.

وهي بموقعها هذا لها أهميتها في رصد ومراقبة وحراسة المنطقة، نظراً لوجودها على أعلى نقطة مرتفعة بالمنزل، كما أنها تعتبر علم لإرشاد السفار على محل المنزل وموضع اجتياز الدرب في بداية منطقة العقاب من الناحية الغربية<sup>١٠١</sup>.

#### ٤. النقش المراسيمي التذكاري ورنك السلطان قانصوه الغوري

ورد ذكر نقش الغوري لأول مرة عند النابلسي الذي مر بالمنطقة في طريقه لأداء مناسك العمرة والحج وزيارة المدينة الشريفة حيث قال في هذا الشأن: «وجدنا هناك تاريخاً منقوراً في صخورها مضمونه أن السلطان الملك قانصوه الغوري أمر بقطع هذه العقبة»<sup>١٠٢</sup>.

ثم ما ورد عند ابن عبدالسلام الدرعي وهو في طريقه لأداء فريضة الحج في المرة الأولى وذلك سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، وكان أول من حاول قراءة تاريخ النقش، ولكنه لم يذكر سوى رقم المئات، وهو الرقم الذي لا خلاف فيه، فقال بصدد ذلك ما نصه: «عزفوب البعلة وهي عقبة صعبة إلا أنها نُحِتَتْ وَسُوِّيتْ وَبُنِيَتْ ... قلت: وفي هذا المكان حَجَرٌ مَنْقُوشٌ فيه تاريخ تسعمائة»<sup>١٠٣</sup>. وهذا يدل ويؤكد على أن النقش التذكاري التاريخي كان تاريخه بحالة جيدة من الحفظ في أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

كما ذكر هذا النقش الفاسي بعد النابلسي بأكثر من مائة وست سنوات، وبعد ابن عبدالسلام الدرعي بخمسة عشر سنة، وذلك في رحلته لأداء فريضة الحج عندما مر بها، فذكر النقش وأشاد بجودة خطه وأشار إلى مضمون ما احتواه من حيث البداية بآية من القرآن الكريم ثم اسم من أمر بقطع ونحت هذا الطريق في تلك المنطقة حيث قال: «مر الركب عند الغروب بمحجة منحوتة في جبل في غاية الضخامة يدل ذلك على عظم مُلْكٍ من نحت تلك الطريق بذلك الموضع ويسمى ذلك [المكان] المنحوت عزفوب البعل، وهناك مكتوب بخط جيد في غاية الإتقان في حجارة بالنقش، والنحت ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾<sup>١٠٤</sup>، ومكتوب بعد ذلك أسطر من أمر بنحت تلك الطريق»<sup>١٠٥</sup>.

ويقع النقش المراسيمي التذكاري والرنك الكتابي على يمين السائر على الطريق والمتجه ناحية الشرق إلى مكة المشرفة والمدينة الشريفة، وذلك في الطرف الشرقي من الجبل الذي تم قطعه وتسويته، وبالتحديد على الحافة الجنوبية من الصخر الطبيعي للجبل الذي تم قطعه، والنقشان أحدهما نقش مراسيمي إنشائي تذكاري يؤرخ لمرسوم صدر في عهد السلطان قانصوه الغوري لعمارة درب الحاج المصري، وذلك بدايةً من منهل عَجْرُودٍ وَنَحْلٍ، وقطع الجبل بعراقيب البعل موضع هذين النقشين، وقطع جبل عقبة أيلة «العقبة» وعمارة قلعة أيلة وآبارها، وعمارة قلعة الأزلم «الأزلم» والمؤيلحة «المؤيلح»، ومغارة نبت، والفساقي بيدر، وبقية طرق الحاج، وصولاً لمكة المشرفة والمدينة الشريفة وتعميره للكعبة المشرفة والمسجد الحرام، والآخر وهو رنك كتابي باسم السلطان قانصوه الغوري.

<sup>١٠٤</sup> يلاحظ أن الرحلة الفاسي ذكر جزء من الآية رقم (١٣) من سورة الصف في

حين أن الآيات أرقام (١-٣) من سورة الفتح هي التي وردت في النقش.

<sup>١٠٥</sup> الفاسي، الرحلة إلى الأراضي الحجازية، ص ٧١-٧٢.

<sup>١٠١</sup> انظر لوحة (٥) من ملاحق البحث.

<sup>١٠٢</sup> النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٠٥.

<sup>١٠٣</sup> الدرعي، رحلتي، ص ٦٣.



٦. [ ..... ] ممالكك؟ المشار إليه [ ..... ] الملكى

٧. [ ..... ] الحين في هذه [ ..... ]

٨. [ ..... ] ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>١٠٩</sup>.

وقد نُشر هذا النقش المراسيمي التذكاري في بعض الدراسات السابقة ضمن كُتب عامة أُلُفت عن سيناء أو كُتب أخرى مستقلة أو بحوث علمية مستقلة كما رأينا<sup>١١٠</sup>، كانت أولها بشكل قاطع قراءة نعوم بك شقير سنة ١٩٠٦م والتي اعتمد عليها العديد من الباحثين، وأفضلها وآخرها كانت قراءة ودراسة عُبَّان، وسيتم اعتماد قراءة كل من تامارى وعُبَّان أصلاً للعمل، ثم قراءتي لهذين النقشين بحكم عملي الميداني الحقل في المنطقة لفترة طويلة، ولى تعديلات بسيطة على القراءات السابقة، وذلك على النحو التالي:

السطر الأول: نظراً لأنه آية من القرآن الكريم فلم تكن هناك مشكلة في قراءتها عند كل من تصدوا لقراءة هذا النقش منذ أوائل القرن الماضي حتى أواخر القرن نفسه.

السطر الثاني: قرأ شمويل تامارى كلمة «البعل» في المقال الأول، ثم قرأها استناداً لما ورد في النصوص الرحلية في المقال الثاني «البغلة»، وهو ما ورد عند عُبَّان أيضاً الذى رحج هذه القراءة بناءً على ما ورد في المصادر التاريخية، ولكن صحتها «البعل» بناءً على صورة النقش عند تامارى وحالته الحالية، وكذلك صغر المساحة التى ينتهى عندها معقوفة اللام بما لا يسمح بوجود التاء المربوطة، ومقارنة التاء المربوطة فى كلمات بقية النقش التى تنتهى بتاء مربوطة منها على سبيل المثال كلمات: «الله»، «توسعة»، «الشريفة»، «مكة المشرفة»، «المدينة الشريفة»، «عقبة»، «القلعة»، «المويلحة»، «أعماله»، مما يؤكد عدم وجود مساحة تسمح بكتابتها؛ وقرأ تامارى كلمة «ويعد»، «ومهد» فى المقالين بدلاً من «توسعة»، وكلمة «لُطُوق» فى المقالين بلام زائدة بدلاً من «طُوق»، وأسقط حرف «الواو» من كلمة «والحجاج» فى المقالين، وكلمة «بيت»

ص ٢٠٤؛ لانكستر هاردنج، آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، ط٣،

١٠٩ سورة آل عمران، جزء من الآية (١٧٣).  
١١٠ كان شقير أول من وقف على النقشين فى العصر الحديث وذلك سنة ١٩٠٦م، ولكنه اعتقد أنها ثلاثة نقوش، حيث أعتقد أن الجزء المخرب من النقش الإنشائي الأول أنه نقش مستقل، وقد نقل عنه هذه القراءة العديد من الباحثين بعد ذلك مثل أحمد رمضان وبكر وعُبَّان، ثم دراسة تامارى وهاشمشونى المساحية للمنطقة، ثم دراسة تامارى الخاصة عن هذين النقشين ودراسته العامة عن درب الحجاج فى سيناء، ثم دراسة عُبَّان الموسعة عن هذين النقشين، عن هذه الدراسات انظر: شقير، تاريخ سيناء، ص ١٦٠؛ أحمد، شبه جزيرة سيناء، ص ١٦٥-١٦٦؛ بكر، دروب الحجيج، ص ١١٤؛ عُبَّان، نقشان، ص ١-١٥٥، لوحات (١-١٨).

Sh. Tamari, *L'Iscrizione di 'Aqabat al-'Urqūb*, p. 274-ff; *id.*, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī*, p. 173-187, pls II, III; *id.*, «Darb al-Hajj». p. 505-516, pl. XII b, XIII, XIV; A. Ghabban, *Introduction à l'étude archéologique des routes syrienne et égyptienne du pèlerinage*, p. 616-617.

وزارة السياحة والآثار، المملكة الأردنية، عُبَّان، ١٩٨٢م، ص ١٧٨؛ زكى، العقبة، مجلة الكتاب، س ٤، ج ٧، ص ٢، دار المعارف، القاهرة، ربيع الثانى ١٣٦٨هـ/ فبراير ١٩٤٩م، ص ٢١٢؛ قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، سلسلة الألف كتاب (٢٨٨)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٦؛ حنان الكردى، القلاع الأثرية فى الأردن، دائرة الآثار العامة، عُبَّان، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٣١؛ بكر، دروب الحجيج، ص ١١٥؛ غوانمة، التاريخ الحضارى لشرقى الأردن، ص ٢٣٦؛ أيلة، ص ٧٥-٧٦، ١٣١؛ درادكة، صالح، لمحات من تاريخ أيلة «العقبة» فى العصر الإسلامى، مجلة دراسات تاريخية، ع ١٥-١٦، جامعة دمشق، دمشق، كانون الثانى - آيار ١٩٨٤م، ص ٨٤؛ عبدالمالك، درب الحجاج همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالحزمين الشريقتين، ص ١٠٩، ٣٠٥، ٣٢٨.

B. Moritz, *Sur les antiquités arabes du Sinai. Inscription à Ageroud*, BIE IV, 1910, p. 100-101; H.W. Glidden, «The Mamluk Otigin of the Fortified Khan at al-'Aqabah», *Archeologica Orientalia in Memoriam E. Herzfeld*, New York, 1952, p. 117.

قرأها صحيحة في المقال الأول وقرأها «لبيت» في المقال الثاني بلام زائدة عن الموجود بالنقش، كما قرأ كل من تامارى وَعَبَّان كلمة «الشريفة» التي بعد بيت الله بدون تاء مربوطة، وقرأ «تحده» في المقال الأول وفي الثاني «بعَجْرُود» بدلاً من «عَجْرُود»، وقرأ في المقال الأول «محلات» بدلاً من «نخل»، وكلمة «بقطع» بدلاً من «وقطع» أى أنه أبدل الواو بباء، وفيما يبدو أن تامارى اعتمد في قراءته على ما ورد عند نعوم شقير للتشابه في قراءته للعديد من الكلمات مع ما ورد عند شقير، خاصة أنه قد قام بإعداد بحث عن هذا النقش من خلال قراءة نعوم شقير له. أما هذا السطر فقراءته كلها صحيحة وسليمة عند عَبَّان ما عدا كلمة واحدة زائدة عما هو بالنقش، وهى كلمة «إلى» قبل كلمة «بيت».

السطر الثالث: لم يقرأ تامارى كلمة «عَقَبَة»، وقرأ «تلا» بدلاً من «أَيلاً» في المقال الأول، وقرأ كلمة «مفارت» بدلاً من «ومَغَارَتُ» في المقالين، وتوجد واو زائدة في قراءة تامارى قبل كلمة «نبط» في المقالين وهى غير موجودة بالنقش، وقرأ كلمة: «الإمام» بدلاً من «الأمير» أيضاً في المقالين، أما قراءة عَبَّان لهذا السطر فكلها صحيحة وسليمة.

السطر الرابع: قرأ تامارى كلمة «السيف» بدلاً من «السلطان»، وكلمة «القلم» بدلاً من «المجد»، ولم يستطع قراءة كلمة «والبند»، وقرأ كلمة «والعلم» على أنها «العظيم»، وقرأ كلمتى «العظيم والمتوكة (?)» بدلاً من «أبو الفقراء والمساكين» وذلك في المقالين، أما قراءة عَبَّان لهذا السطر فكلها صحيحة وسليمة.

السطر الخامس: لم يستطع تامارى قراءة بداية السطر الذى يشتمل على الأمير المُشرف على مُعظم عمارة درب الحَاجِّ المِصرى ومَكَّة المُشرِّفة، كما أن عَبَّان قرأ كلمة «العلائى» بنبوة مهموزة وصحتها كما في النقش «العلاى» وقد أشار عَبَّان إلى أنها من الأشياء التى أغفلها الخطاط<sup>١١١</sup>، وقرأ عَبَّان كلمة «أحسن» وصحتها كلمة «أعز»<sup>١١٢</sup>، وقرأ تامارى كلمة «لصاحت» بدلاً من «بالصالحات» كما في النقش، وقرأ عَبَّان كلمة «بحمد» وأعتقد أنه خطأ مطبعى حيث وردت في جدول أشكال الحروف برسمها الصحيح كما في النقش، وتامارى «محمد» وصحتها كما في النقش «بمحمد»، وقرأ تامارى في نهاية السطر كلمة «الموافق» وهى غير موجودة في نهاية هذا السطر<sup>١١٣</sup>.

<sup>١١١</sup> تعتبر النقوش الكتابية الإسلامية بصفة عامة مصدراً من المصادر الأثرية المهمة للغاية نظراً لما تتمتع به من مصداقية فيصعب الطعن في قيمتها أو التشكيك في أصالتها، فهى من جهة معاصرة للحقائق والأحداث التى تسجلها، كما أنها محايدة فتعوض النقص وتسد الفراغ في المصادر التاريخية بأنواعها المختلفة، ومن جهة ثانية فهى تمتاز بأن تواريخها صحيحة - إلا فيما ندر - وأساء الأعلام التى ترد بها يندر فيها التحريف والتصحيح على حد سواء وهو مقصدنا في هذا الموضوع، ومن جهة ثالثة فهى تفيده في مراقبة أقوال المؤرخين والجغرافيين وإثبات صحتها أو الكشف عن أخطائها والتى أحياناً تكون شائعة ومنتشرة كأنها حقيقة مؤكدة، وثبت خطؤها بعد ذلك، كما أنها تميظ اللثام عن حقائق كثيرة جديدة مستمدة منها، أو أنها ترجح بعض الآراء على غيرها، كما أنها في مجال العمارة تحدد تماماً متى بدأت وانتهت عمارة منشأة من المنشآت التى تؤرخ لها هذه النقوش، وورد اسم خاير بك العلاى كذلك في المصادر التاريخية المعاصرة بهذا الرسم، انظر على سبيل المثال: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٩٧، ٤٣٤؛ عَبَّان، نقشان، ص ٣٠؛ الحداد، النقوش الأثرية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، مج ١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م، مج ١، ص ١٠.

<sup>١١٢</sup> توجد هذه الكلمة في النقش ويؤكد هذه القراءة نقش قلعة العقبة انظر: هاردينج، آثار الأردن، ص ١٧٨؛ زكى، العقبة، ص ٢١٢؛ قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ص ١٣٦؛ الكردى، القلاع الأثرية، ص ٣١؛ غوانمة، التاريخ الحضارى لشرقى الأردن، ص ٢٣٦؛ أيلة، ص ١٣١؛ صالح درادكة، لمحات من تاريخ أيلة «العقبة» في العصر الإسلامى، مجلة دراسات تاريخية، ع ١٥-١٦، جامعة دمشق، دمشق، كانون الثانى - آيار ١٩٨٤م، ص ٨٤؛ عبدالملك، درب الحَاجِّ المِصرى همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالحرمين الشريفين، ص ٣٢٨.

<sup>١١٣</sup> عن قراءة كل من تامارى وَعَبَّان انظر: عَبَّان، نقشان، ص ٢٣، ٤٦.

السطر السادس: وهو مخرب ولم ترد قراءة لأي كلمة فيه إلا كلمة «ممالك» عند غبان، ويمكن قراءة كلمتي «المشار إليه والملكي»، كما توجد حروف بعض الكلمات واضحة المعالم في نهاية السطر.  
السطر السابع: لم يتم أحد ممن تعرضوا بالدراسة والبحث للنقش بقراءة أي كلمة فيه وذلك لخرابه بشكل كبير، ولكن من الممكن قراءة بعض الكلمات في نهاية السطر منها كلمة «الحين»، وكلمة «وهذه».  
السطر الثامن: وهو السطر الأخير من النقش وينتهي بجزء من الآية (١٧٣) من سورة آل عمران قوله تعالي: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وهي التي لم ترد في أي قراءة من القراءات السابقة لهذا النقش، ويعتقد أن تاريخ النقش كان يسبقها مباشرة.

أما عن الدراسة الفنية لهذا النقش من حيث الشكل والمضمون أي الخصائص الفنية المختلفة والصياغة والتعريف بما ورد فيه من منازل ومناهل على طول درب الحجاج المصري وترجمة الشخصيات التي وردت به، والألقاب والوظائف وغيرها فيمكن الاعتماد عما ورد في الدراسات السابقة ومنها دراسة غبان ودراساتي المطولة عن الدرب ولا حاجة هنا لتكرار ذلك<sup>١١٤</sup>.

ولكن يهمني هنا في هذه الدراسة الإشارة والتركيز على بعض النقاط الهامة منها: أحد ألقاب السلطان قانصوة الغوري في النقش وهو «خادم الحرمين الشريفين»، حيث يلاحظ أن هذا اللقب عُرف منذ العصر الأيوبي، وأول من تلقب به حسب النقوش الآثارية - على حد علمي - هو صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ / ١١٦٩-١١٩٣م) إذ وصل إلينا نقش موجود بقبة يوسف جنوبي فناء قبة الصخرة المشرفة تحديداً بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين بمدينة القدس الشريف في فلسطين، وهذا النقش يؤرخ لعمارة وحفر خندق ومؤرخ في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م، ونظراً لأهمية هذه النقش بالنسبة لظهور هذا اللقب فسأورده ليكون تحت نظر الباحثين، فهو يشتمل على ستة أسطر، ويقرأ:

١. بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد النبي وآله

٢. أمر بعمارة وحفر الخندق مولانا السلطان صلاح

٣. الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين

٤. الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف وهو محي دولة أمير المؤمنين

٥. أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الأمير الإسفهلار الكبير

٦. سيف الدين علي بن أحمد أعز الله في سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية.

والمقصود هنا في هذا النقش خدمة الحرمين الشريفين المكي والنبوي، بدلالة ما ورد في النص بما نصه «وهذا البيت المقدس»، ونجده في نقوش أخرى يقصد بها الحرمين الشريفين القدسي والخليلي في فلسطين وهو ما كان شائع في النقوش الآثارية في العصر المملوكي خاصة تلك التي توجد في كل من بيت المقدس والخليل، وتبعهما وظائف أخرى مثل ناظر الحرمين الشريفين وغيرهما.

<sup>١١٤</sup> غبان، نقشان، ص ٢٤-٥١؛ عبدالمالك، درب الحجاج همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين، ص ٤٢١-٤٢٤.

وقد ورد هذا اللقب بعد أول ذكر له في عهد صلاح الدين الأيوبي بعد ذلك في عصر سلاطين المماليك والعثمانيين وصولاً إلى ملوك آل سعود في العصر الحديث حتى يومنا هذا، وأصبح المقصود منه خدمة الحَرَمين الشريفين المَكِّي والمدَنِي<sup>١١٥</sup>.

ثم نجد هذا اللقب في العديد من النقوش منها على سبيل المثال لا الحصر نقش من عهد الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول (٦٤٧-٦٩٥هـ/١٢٤٩-١٢٩٥م) بقبة الوحي «دار السيدة خديجة رضي الله عنها» مؤرخ في شهر صفر سنة ٦٨٦هـ/ مارس - أبريل ١٢٨٧م<sup>١١٦</sup>.

وفي العصر المملوكي عصر النقش التذكاري موضوع البحث نجد من النقوش المبكرة في هذا العصر التي ورد فيها هذا اللقب نقش من عهد السلطان الظاهر بَيبرَس البُنْدُقَدَارِي (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) بقلعة دمشق مؤرخ في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م<sup>١١٧</sup>، وآخر في قلعة الكرك<sup>١١٨</sup>.

محمد هزاع الشهري، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، ط ١، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤٤، ٢١١؛ عبدالمالك، الألقاب والوظائف المضافة إلى الحَرَمين الشريفين المكي والمدني «دراسة تاريخية آثارية في ضوء النصوص التاريخية والنقوش الأثرية» قيد النشر.

M.V. Berchem, *Matériaux pour un Corpus*, p. 126, 142, 682; *id.*, *Répertoire IX*, ins. n° 3447, p. 174; G. Wiet, «L'Égypte et les lieux saints de l'islam», dans *Mélanges offerts à René Crozet*, Poitiers, 1966, p. 130; H. El-Hawary, G. Wiet, *Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum IV: Inscriptions et monuments de La Mecque Haram et Ka'ba I/1*. Ifao, Le Caire, 1985, p. 126; J. Sourdel-Thomine, *Clefs et serrures de la Ka'ba notes d'épigraphie arabe*, REI XXXIX, f. I, Paris, 1971, p. 81, n. 18, pl. IXb.

<sup>١١٦</sup> خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم أبو البناء الأندلسي البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، ط ٢، مكتبة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت؛ الجاسر، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (١٠) «رحلة البلوي: تاج المفرق»، مجلة العرب، ص ١١، ج ٩-١٠، الرياض، الربيعان ١٣٩٧هـ/ مارس - أبريل ١٩٧٧م، ص ٧٤٧.

<sup>١١٧</sup> عبدالقادر الريحوي، قلعة دمشق «تاريخ القلعة وآثارها وفنونها المعمارية»، مطبوعات هيئة تدريب القوات المسلحة، دمشق، ١٩٧٩م، ص ٢٧٨، كتابة رقم (٨)؛ قتيبة الشهابي، النقوش الكتابية في أوابد دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م، ص ١٢٨.

M. Sobernheim, *Die inschriften der Zitadelle von Damaskus*, *Der Islam XII*, Berlin, 1922, n. 7; M.V. Berchem, *Repertoire XII*, n. 4476, p. 56.

L.A. Mayer, *Saracenic Heraldry*, Clarendon Press, <sup>١١٨</sup> Oxford, 1933, p. 107.

<sup>١١٥</sup> وهو من ألقاب السيادة والملك، وجد هذا اللقب على العديد من العائثر والمنقولات، للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧١، ج ٦، ص ٤٦؛ العز عبدالعزیز بن النجم بن فهد، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق صلاح الدين بن خليل إبراهيم وآخرون، ط ١، دار القاهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ١٣٩٦، ١٨١٢؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠؛ مقتطفات، ص ١٨٠؛ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٦٦-٢٧٠؛ الفنون الإسلامية والوظائف، ج ١، ص ٤٣٧؛ ناجي زين الدين المصرف، مصور الخط العربي، ط ٢، مكتبة النهضة ودار العلوم، بغداد- بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٣٠٨-٣٠٩، شكل (٢١)؛ يونس عمرو ونجاح أبو سارة، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن تحقيق ودراسة، ط ١، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، الخليل، ربيع الآخر ١٤١٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٩م، ص ٥٦٠-٥٦٤، شكل (٣٤٢)؛ محمد طاهر الكردى، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط ١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٥٢٠؛ محمد قنديل البقل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١١٣؛ أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ١٩٦؛ الفجر، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري (١٤-١٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٣، ٢٠٠، ٢٧٥، ٣٣٧؛ غنجان، نقشان، ص ١٠٤-١٠٥؛ طرجان يلماز، الكعبة المشرفة «دراسة أثرية لمجموعة أبقاها ومفاتيحها المحفوظة في متحف طوب قابي باستانبول»، ترجمة تحسين عمر طه أوغلي، إستانبول، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٦-٧٩، لوحة (٢٩)؛ خوليا تزجان، أستاذ الحرمين الشريفين، ترجمة تحسين عمر طه أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي، إستانبول، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٨٨، لوحة (٢٧ ب)؛ مصطفى عبدالكريم الخطيب، مُعجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٥٦؛

كما وجد هذا اللقب على بعض النقوش الأثرية في المدينة الشريفة ومكة المشرفة منها وعدة نقوش من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون منها نقش بسقف الروضة الشريفة مؤرخ في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٠١هـ/ فبراير ١٣٠٢م<sup>١١٩</sup>، ونقش ترخيم مقام إبراهيم الخليل والحطيم مؤرخ في سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م<sup>١٢٠</sup>، وآخر من عهده أيضاً بأعمدة مصلى المقام مؤرخه في سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م<sup>١٢١</sup>.

كما وجد هذا اللقب في نقش داخل الكعبة المشرفة من عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م) مؤرخ في سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م<sup>١٢٢</sup>.

ووجد هذا اللقب في بعض النقوش من عهد السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م) منها نقشى تعمير عين عرفة ومصانعها وبركها وقناتها وغيرها ويوجد النقشان في أسفل جبل الرحمة بعرفات، وهما مؤرخين في شهر رجب سنة ٨٧٥هـ/ ديسمبر ١٤٧٠م - يناير ١٤٧١م<sup>١٢٣</sup>.

كما ورد هذا اللقب أيضاً على كسوة الكعبة المشرفة، فقد عُثر على قطعة من حزام كسوة الكعبة المشرفة مؤرخ في سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م<sup>١٢٤</sup>.

<sup>١١٩</sup> البلوى، تاج المرفق، ج ١، ص ٢٨٥؛ الجاسر، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (١٠)، ص ٧٣٢؛ الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٤٤.

<sup>١٢٠</sup> نُفذ النقش على لوح من الرخام مقاساته ٥٥ × ٥٠ سم، وانظر:

M.V. Berchem, *Répertoire XIV*, n° 5344; H. El-Hawary, G. Wiet, *Inscriptions et monuments de La Mecque Haram et Ka'ba*, p. 143, ins. n° 21.

<sup>١٢١</sup> الفجر، نص منقوش على أعمدة مصلى مقام إبراهيم مؤرخ بسنة ٧١٩هـ للسلطان الناصر محمد بن قلاوون إضافة جديدة لكتابات الحرم المكي الشريف، مجلة جامعة أم القرى، س ٩، ع ١٣، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص.

M.V. Berchem, *Répertoire XV*, n° 5933; H. El-Hawary, G. Wiet, *Inscriptions et monuments de La Mecque Haram et Ka'ba*, p. 147-148, ins. n° 22.

<sup>١٢٢</sup> النقش نُفذ على لوح من الرخام مقاساته ٨٢ × ٤٨ سم، ومثبت على الجدار الغربى من الكعبة المشرفة، انظر: إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج والمشاعر الدينية، ط ١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ج ١، ص ٢٦٦؛ البتتوني، الرحلة الحجازية، ص ١٧٠؛ الكردى، التاريخ القويم، ج ٣، ص ٢٤٩؛ عبدالسلام أحمد نظيف، دراسات في العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٨٤، ١٨٥، اللوحة رقم (١)؛ عبيدالله محمد أمين كردى، الكعبة المعظمة والحرم الشريفان عمارة وتاريخاً، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٣٢، لوحة تذكارية رقم (٦).

<sup>١٢٣</sup> رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٦-٢١٧؛ محمد أنور شكرى، لוחان أثريان للسلطان قايتباي والسلطان سليمان القانونى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٢٨-٢٩، لوحة ص ٢٦، شكل ص ٢٧؛ إسمايل أحمد إسمايل حافظ، مدرسة السلطان قايتباي، مجلة العرب، س ١٤، ج ١، ص ٢-١، الرياض، رجب - شعبان ١٣٩٩هـ/ يونيو - يوليو ١٩٧٩م، ص ٨٦، حاشية (١)؛ الفجر، الكتابات والنقوش، ص ١٩٨-٢٠١، ٢١٠-٢١٧، مجلة العرب، مج ١، ع ١، الرياض، رجب - شعبان ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، لוחتان (١٧)، (١٨).

<sup>١٢٤</sup> القطعة مقاساتها ٥٦ × ١، ٦٤ × ٠ سم، محفوظة في متحف طوب قابى سراى - إستانبول برقم سجل ١٦٣٠/١٣، ويلاحظ أن السيدة خوليا تزجان وقعت في خطأ عند قراءة تاريخ القطعة في سنة ٩٥٠هـ بدلاً من ٩٠٥هـ، والصحيح ما تم إثباته، وهذه القطعة من الحزام ربما تكون من عهد السلطان الأشرف أبو النصر جانبلاط (الاثنين ثانى ذو الحجة ٩٠٥-١٨ جمادى الآخرة ٩٠٦هـ/ ٢٩ يونيو ١٥٠٠-٩ يناير ١٥٠١م) حيث أنه تولى الحكم فى الثانى من شهر ذى الحجة سنة ٩٠٥هـ، والكسوة تصل عادة إلى مكة فى أواخر شهر ذى القعدة، فهل هذا الحزام كان باسم سلطان العهد أم باسم السلطان السابق الظاهر أبو سعيد قانصوه الذى كان يحكم حتى ٢٩ من شهر ذى القعدة سنة ٩٠٥هـ/ يونيو ١٥٠٠م، وأرجح أن يكون هذا الحزام باسم السلطان الظاهر أبو السعيد قانصوه، للمزيد انظر: عبدالباسط بن شاهين المطفى، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال عز الدين على، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٥٠-١٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٢٤-٤٦٣؛ تزجان، أستاذ الحرمين الشريفين، ص ٨٨، لوحة (٢٧ ب).

كما أن هذا اللقب ورد في عدة نقوش على عمائر من عهد السلطان قَانِصَوُه الغورى منها على سبيل المثال لا الحصر: نقش كان يوجد في عَجْرُود ويؤرخ في سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م<sup>١٢٥</sup>، نقشان لتجديد مقصورة مقام إبراهيم الخليل إحداهما مؤرخ في شهر رجب من سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م<sup>١٢٦</sup>، نقشان ببرجى الناحية الشمالية والزاوية الشمالية الشرقية من قلعة دمشق مؤرخين في سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م<sup>١٢٧</sup>، نقش حجّر إسماعيل من الكعبة المشرفة، وهو مؤرخ في شهر شوال سنة ٩١٧هـ/ ديسمبر ١٥١١م - يناير ١٥١٢م<sup>١٢٨</sup>.

أما الرنك الكتابي فهو على يسار النقش التذكاري التاريخي وإلى الشرق منه بمسافة تتراوح ما بين ٦: ٥، ١٢ سم، وهو مربع الشكل مقاساته ١٢٠ × ١٢٠ سم، يشغل وسطه دائرة قطرها ٦٠ سم، مقسمة إلى ثلاثة أقسام، الأوسط وهو يُسمى بالشطب عرضه ٢٨ سم، والأعلى والأسفل كل منهما عرضه ١٦ سم، والأركان شُغلت بزخارف نباتية بارزة من نوع الزخرفة النباتية العربية المورقة «arabesques» محصورة بين أربع مبيات معقودة ومتقاطعة بمنتصف الأضلاع الأربعة، والرنك مُحدد بإطار مربع عبارة عن خطين رفيعين، وقد نُقشت الكتابة بخط الثلث البارز<sup>١٢٩</sup>، ويلاحظ أنه أهتم بهذا الرنك بشكل لافت للنظر لكونه موضوع في منطقة هامة يمر عليها جميع الحجاج والسفار الذاهبين والعائدين من وإلى مكة المشرفة والمدينة الشريفة، ويقرأ الرنك كالمعتاد بالنسبة للرنوك المملوكية من الوسط ثم الأعلى ثم الأسفل، وذلك على النحو التالي:

١. أبو النصر قَانِصَوُه الغورى

٢. عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف

٣. عز نصره<sup>١٣٠</sup>.

وهو يشبه من حيث المضمون رنوكه التي على مُنشآته المعمارية المختلفة والفنون التطبيقية المنقولة، منها رنكه الذى عثرت عليه عن طريق الحفائر الأثرية التى قمت بها فى قلعة نَحْل والذى يؤرخ فى سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م<sup>١٣١</sup>، ورنكه

<sup>١٢٥</sup> عبدالملك، درب الحاج همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالخرميين الشريفيين، ص ١٠٩.

B. Moritz, *Inscription à Ageroud*, p. 100-101.

«المالك» بالسطر الثانى الأوسط من الرنك، انظر: Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī*, p. 182; *id.*, «Darb al-Hajj», p. 510.

<sup>١٢٦</sup> النقشان محفوظان فى معرض عمارة الحرمين الشريفين بأب الجود - مكة المكرمة، وانظر: الفعر، الكتابات والنقوش، ص ٢٧٥-٢٧٨.

<sup>١٣١</sup> عثرت عليه فى خلال موسم حفائر شهر مارس - مايو من سنة ١٩٩٥م، وكان قد تعرض للطمس فيما يبدو خلال العصر العثمانى، انظر: شقير، تاريخ سيناء، ص ١٥٠؛ زكى، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ص ١٣٣؛ عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٠٣-١٠٤؛ أحمد، شبه جزيرة سيناء، ص ١٦٥؛

<sup>١٢٧</sup> الريجاوى، قلعة دمشق، ص ٢٨٦، كتابة رقم (٢٩، ٣٠)؛ الشهاى، النقوش الكتابية، ص ١٣٦.

M. Sobernheim, *Die inschriften der Zitadelle von Damaskus*, n<sup>os</sup> 23, 24.

عبدالملك، درب الحاج همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالخرميين الشريفيين، ص ٢١٥-٢١٦، لوحات (٢٣-٢٦، ٣٠)؛ قلعة نحل على درب الحاج المصرى فى سيناء، ص ١٥٨، لوحة ١٢؛ حفائر قلعة نحل على درب الحاج المصرى فى سيناء (١٩٩٤-٢٠٠٣م) «دراسة آثارية - معمارية» «قيد النشر».

<sup>١٢٨</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٨٠٨-١٨١٢؛ باسلامه، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط ٢، سلسلة الكتاب العربى السعودى (٤٧)، تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٧٧-١٧٩.

<sup>١٢٩</sup> شكل (٤)، ولوحات (١، ٦، ٩) من ملاحق البحث.

الذي على كسوة المَحْمِلِ<sup>١٣٢</sup> المحفوظة في متحف طوب قابي سراي بمدينة إستانبول<sup>١٣٣</sup>، وهو يشبه أيضاً من حيث الشكل والمضمون رنكه الذي نُقِدَ على لوح من الخشب محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>١٣٤</sup>، ويشبه رنوكه التي توجد على عمائرته سواء التي بمصر أو بلاد الشام أو مكة المشرفة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر بالقاهرة رنوكه على مدرسته سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٨م، وجامعه بالغورية، وجامعه بعرب اليسار سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩-١٥١٠م، ورنوكه على قناطر مياه القلعة «سور مجرى العيون» بالقاهرة<sup>١٣٥</sup>.

أما عن بداية ظهور الرنوك الكتابية فيرجع أقدمها - على حد علمي - حتى الآن إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم يلي ذلك تلك التي ترجع إلى عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وهي الرنوك التي توجد على

*et la caravane*, Revue *La femme nouvelle*, Le Caire, 1951, p. 51-53; N. Canova, *Nota sulle raffigurazioni popolari del Pelleg-rinaggio in Egitto XVI/3*, Aflslf, université de Venise, 1975, p. 83-94, pl. 8; H. El-Hawary, G. Wiet, *Monuments de La Mecque Haram et Ka'ba*, p. 128-133; Fr. Buhl, «Mahmal», *EP VI*, Leiden-Paris, 1991, p. 43-44; D. Behrens-Abouseif, *The Mahmal Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court*, MSR I, université de Chicago, 1997, p. 87-96.

<sup>١٣٣</sup> المَحْمِلِ محفوظ برقم سجل N° 263 تحمّل، وللمزيد انظر: عبدالمالك، تحمّل السلطان قَانِصُوهُ العُورِي «دراسة تاريخية - آثارية جديدة» «قيد النشر». J. Jomier, *Le Mahmal et la caravane*, p. 41-42, pl. I; *id.*, «Le Mahmal du sultan Qānṣūh al-Ghūrī (début XVI<sup>e</sup> siècle)», *AnIsl XI*, Ifao, Le Caire, 1972, p. 183-188.

<sup>١٣٤</sup> طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٣٣٩، لوحة (١٧)؛ غَبَّان، نقشان، ص ٦٠، ١٤٨، لوحة (١٠/ب).

M.V. Berchem, *MCIA «Égypte» I*, Paris, 1903, p. 573, pl. XXXVII, n° 4.

<sup>١٣٥</sup> الدراسة الميدانية لبعض المُنشآت التي من عهد السلطان العُورِي، وانظر: عاصم محمد رزق، المنشآت المائية في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، في كتاب النقاش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المؤتمر الثالث عشر للآثار - الجاهريّة العظمي: طرابلس ١-٧ أكتوبر ١٩٩٥م، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، ١٩٩٧م، ص ٣٢٩، لوحة (٤٤).

<sup>١٣٢</sup> المَحْمِلِ: عبارة عن صندوق خشبي مربع وأعلاه هرمي الشكل، يغطي بكسوة معينة في الاحتفالات الرسمية بالمدن، وأخرى طوال سيره على درب الحجاج، أهمها وأقدمها كسوة السلطان العُورِي المحفوظة في متحف طوب قابي سراي بإستانبول، وهو يرمز لخروج قافلة الحج بصحبة كسوة الكعبة المشرفة، للمزيد انظر: صادق، مشعل المحمل، ص ٥-٦٠؛ كوكب الحج في سفر المحمل بحرا وسيره برأ «ذيل مشعل المحمل في سفر الحج برأ»، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠٣هـ، ص ٢-٧٣؛ دليل الحج، ص ٢-١٥٢؛ الرحلات الحجازية، ص ٧١-١٥٩، ١٦٧-٢٢٣، ٢٢٥-٢٥١، ٢٦٣-٤٢٦؛ يوسف أحمد، المحمل والحج، ج١، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م؛ عفاوي، المحمل المصري - نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، س٢، ع١٠، جامعة الرياض، الرياض، ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١-١٩٧٢م، ص ٢٢٣-٣٣٨؛ عبدالعزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١م، ص ١٢٩، ١٣١، ٤١٦-٤١٧، ٤٣٥-٤٣٦، ٤٤٢-٤٤٤؛ التهامي، الإصلاحات المملوكية، ص ٨٥-٨٨؛ السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، مطبعة الجبلأوى، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٧٩-٢٠٢؛ عبدالكريم على الباز، المحمل اليمنى في عهد بنى رسول، مجلة العصور، مج٧، ج١، دار المريخ، لندن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٧-١٨؛ حلمي، المحمل، ص ٣٢-٦٩، لوحات (١-١٥)؛ محسن محمد سليم، دراسات في المحمل المصري، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٥م؛ عبدالناصر ياسين، وسائل السفر عند المسلمين تاريخها وآثارها «دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية»، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٠٥-٣٢٩.

A. Robinson, *The Mahmal of the Moslem Pilgrimage*, Jrasgbi, London, 1931, p. 117-126; J. Jomier, *Le Mahmal*

مشكاواته، ولكن يلاحظ أن اسمه لم يُكتب عليها وإنما اكتفى الفنان بكتابة العبارة التالية: «عز لمولانا السلطان الملك»، واستمر ظهور الرنوك الكتابية بكثرة على العمائر والمنقولات طوال العصرين المملوكى والعثمانى<sup>١٣٦</sup>.

### تأريخ نقش قَانِصَوْهُ العُورَى المراسيمى التذكارى

لسوء الحظ أن تاريخ النقش المراسيمى التذكارى كان فى الأسطر الثلاثة الأخيرة، وعلى وجه التحديد أعتقد أنه فى السطر الأخير فيما قبل خاتمة النص حيث الكتابة القرآنية، وقد تعرضت هذه الأسطر الثلاثة للطمس والتخريب من زمن غير قريب منذ القرن التاسع عشر الميلادى على أقل تقدير، فنعم شقير كان قد حاول قراءة هذا النقش فى بداية القرن الماضى سنة ١٩٠٦م، وأشار إلى أنها ثلاثة نقوش اعتقاداً منه أن الجزء المخرب من النقش المراسيمى التذكارى نقش مستقل حيث قال: «وقد عبث الزمان والسكان بهذه النقوش كلها أو بعضها حتى أنها لم يعدو من الممكن قراءة شيء مما نُقش على الصخرة الثالثة»<sup>١٣٧</sup>.

وكانت هناك محاولات سابقة على بحثى لتأريخ هذا النقش المراسيمى التذكارى الهام لعمارة درب الحاج المِصرى، وقد ظلت هذه المحاولات قريبة من واقع تسلسل الأحداث التاريخية إلى أن وُفِّقت فى الاطلاع على نص تاريخى هام لمؤرخ معاصر للأحداث ساعد فى صرف النظر عن التواريخ السابقة المقترحة فى ما يتعلق بهذا الشأن، ومن هذه المحاولات السابقة تلك التى قام بها تامارى فى أغلب أبحاثه، وذلك بعد استعراضه ما ورد عند ابن إياس قرر أن التاريخ يقع بين سنتى ٩١٤-٩١٥هـ/١٥٠٨-١٥١٠م<sup>١٣٨</sup>، حيث قال: «وفىما يتعلق بتاريخ مقلع الحجارة عَقَبَةُ العُرْقُوبِ، الشىء الوحيد المؤكد بين ٩٠٦هـ/١٥٠١م و ٩٢٢هـ/١٥١٧م، السنة ٩١٤-٩١٥هـ/١٥٠٨-١٥١٠م تبدو على الأرجح الأقرب للحقيقة».

<sup>١٣٦</sup> بعض الباحثين ذكروا أقدمها من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى حين أن أقدمها يرجع إلى عصر الناصر محمد بن قلاوون، عن الرنوك بصفة عامة والرنوك الكتابية بصفة خاصة انظر: محمد مصطفى، الرنوك فى عصر المماليك، مجلة الرسالة، س٩، ع٤٠٠، القاهرة، ٥ صفر ١٣٦٠هـ/ ٣ مارس ١٩٤١م، ص ٢٦٨-٢٧١؛ جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، ع٥، القاهرة، مايو ١٩٤١م، ص ٩٨، ٤٦١-٤٦٨؛ زكى، الأعلام، ص ٧٦-٧٩؛ أبو الفرج العشى، الشعارات الموجودة على الأوانى الفخارية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ١٠، دمشق، ١٩٦٠م؛ إبراهيم على طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢-١٥١٧م)، سلسلة الألف كتاب (٢٧٩)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٢٤-٣٣٩؛ أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢١، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٨٩-٩٠؛ الرنوك الإسلامية، ط ١، دار الحريرى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م؛ محمد كامل فارس، الرنوك المملوكية فى المملكة الحلبية، حولية عاديات حلب، الكتاب ٢، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، ١٩٧٦م، ص ٢١٩-٢٦٠؛ عبدالغنى محمد عبدالله، الشعارات

<sup>١٣٧</sup> شقير، تاريخ سيناء، ص ١٦٠.  
<sup>١٣٨</sup> Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī*, p. 186-187; *id.*, «Darb al-Hajj», p. 513-514; Sh. Tamari et al., *The Cut in the Pass at 'Aqabat al-'Urqub*, p. 290.

<sup>١٣٦</sup> بعض الباحثين ذكروا أقدمها من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى حين أن أقدمها يرجع إلى عصر الناصر محمد بن قلاوون، عن الرنوك بصفة عامة والرنوك الكتابية بصفة خاصة انظر: محمد مصطفى، الرنوك فى عصر المماليك، مجلة الرسالة، س٩، ع٤٠٠، القاهرة، ٥ صفر ١٣٦٠هـ/ ٣ مارس ١٩٤١م، ص ٢٦٨-٢٧١؛ جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، ع٥، القاهرة، مايو ١٩٤١م، ص ٩٨، ٤٦١-٤٦٨؛ زكى، الأعلام، ص ٧٦-٧٩؛ أبو الفرج العشى، الشعارات الموجودة على الأوانى الفخارية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ١٠، دمشق، ١٩٦٠م؛ إبراهيم على طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢-١٥١٧م)، سلسلة الألف كتاب (٢٧٩)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٢٤-٣٣٩؛ أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢١، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٨٩-٩٠؛ الرنوك الإسلامية، ط ١، دار الحريرى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م؛ محمد كامل فارس، الرنوك المملوكية فى المملكة الحلبية، حولية عاديات حلب، الكتاب ٢، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، ١٩٧٦م، ص ٢١٩-٢٦٠؛ عبدالغنى محمد عبدالله، الشعارات

فقال في بحثه الأول ما نصه:

“In so far as concerns the date of the quarrying of ‘Aqabat al-‘Urqûb, the only certainty so far is which date between 906/1501 and 922/1517, the year 914-915/1508-1510 probably being nearest the truth”.<sup>١٣٩</sup>

وقال في بحثه الثاني ما نصه:

“In so far as the date of the quarrying of ‘Aqabat al-‘Urqûb is concerned, the only certainty is that, between 906/1501 and 922/1516, the year 914-915/1508-1510 is probably nearest the truth”.<sup>١٤٠</sup>

ثم تأتي بعد ذلك محاولة عَبَّان معتمداً في استنتاجه للتاريخ على النصوص الواردة عند ابن إياس والجزيري، ومن التواريخ المسجلة على النقوش التي تُؤرخ منشآت العمارة الغورية في بعض مناهل الدرب، فاقترح تاريخين للنقش رجح أحدهما على الآخر، حيث قال بهذا الشأن ما نصه: «ويذكر الجزيري أيضاً أن خَايِرُ بك قطع عراقيب البعلة ولكنه لا يعطى تاريخاً. وغالب الظن أن هذه العراقيب قُطعت ومُهتدت في نفس العام [أى ٩١٥هـ/١٥٠٩م]، لأنها تقع بين نقب العقبّة - حيث جرى تمهيد آخر - وبين نُحْل حيث بنى الحنّان. ولذلك فإننا نعتقد أن تاريخ هذا النقش الذي يرد فيه اسم خَايِرُ بك العلائي، وأسماء الأماكن التي أصلحها على الطريق في عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م لا بد أن يكون هو عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م نفسه، لأن خَايِرُ بك فرغ من عمارة هذا الجزء السينائي من الطريق قبل نهاية هذا العام»<sup>١٤١</sup>.

كما ذكر عَبَّان في موضع آخر من بحثه احتمال آخر لتاريخ النقش فقال: «وهناك احتمال آخر لتاريخ هذا النقش، فإذا افترضنا أن خَايِرُ بك المعمار قد عاد إلى القاهرة قبل تمام عمارة الربع الأول من الطريق لتجهيز سفره إلى مكّة، وأنه ترك الأعمال النهائية لمساعديه، وأن هذه الأعمال استمرت إلى بداية العام التالي، فيكون عام ٩١٦هـ/١٥١٠م هو التاريخ المسجل على هذا النقش، وذلك على فرض كتابة النقش بعد تمام كامل عمارة الجزء السينائي من الطريق، ولكن هذا الاحتمال ضعيف، لأن خَايِرُ بك كان قد قطع شوطاً كبيراً في تنفيذ المرحلة الأولى من العمارة الغورية في مطلع عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م، بشهادة الحجاج الذين مرّوا في طريق عودتهم بالعقبّة في محرم ٩١٥هـ وتحدثوا عن جميل ما بنى وأنشأ السلطان بها. ثم أن هناك خمسة أشهر بين عودة خَايِرُ بك إلى القاهرة ونهاية عام ٩١٥هـ، وهي مدة كافية لإجراء أية تشطيبات. ولذ تُرجّح مرة أخرى أن يكون عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م هو تاريخ النقش الأول»<sup>١٤٢</sup>.

وسأتناول كل آراء وأدلة تاماري وعَبَّان ونقدتها في موضعها عند عرض أدلة تأريخ النقش بتاريخ مغاير لما وصل إليه كل منهما في جُلِّ محاولتهم.

<sup>١٤١</sup> عَبَّان، نقشان، ص ٥١-٥٢.

<sup>١٣٩</sup> Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Ġūrī*, p. 186-187.

<sup>١٤٢</sup> عَبَّان، نقشان، ص ٥٣.

<sup>١٤٠</sup> Sh. Tamari, «Darb al-Hajj», p. 514.

ولتأريخ هذا النقش المراسيمى التذكارى سيتم الاعتماد على ما ورد فى النصوص الرحلية عند الرحالة الذين مروا بالمنطقة فى طريقهم لأداء فريضة الحج، وكذلك ما ورد فى نصوص المؤرخين خاصة المعاصرين منهم، وما ورد فى النقوش المعاصرة من عهد السلطان قَانِصَوُهَ الْعَوْرَى على درب الْحَاجِّ الْمِصْرَى وفى مَكَّةَ الْمُشْرَفَةَ.

فقد ورد ذكر هذا النقش عند ثلاثة رحالة من الذين مروا بالمنطقة فى طريقهم إلى بلاد الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وهم عبدالغنى النَّابُلَسَى وابن عبدالسلام الدرعى والفاسى، أما الرحالة الوحيد الذى أشار إلى وجود تاريخ فى النقش المراسيمى التذكارى فهو ابن عبدالسلام الدرعى، وقد أشار إلى رقم المئات فقط من التاريخ دون ذكر بقية التاريخ حيث قال: «وفى هذا المكان حَجَرٌ مَنْقُوشٌ فِيهِ تَارِيخٌ تِسْعِمَائَةٌ»<sup>١٤٣</sup>.

كما أن الجزيرى الذى كثيراً ما كان يعتمد على النقوش الآثرية فى ذكر تاريخ عمائر درب الْحَاجِّ الْمِصْرَى، إلا أنه عند ذكره قطع عَقَبَةَ عَرَاقِيبِ الْبَغْلِ لم يذكر تاريخاً محدداً لقطعها، وإن كان قد أشار إلى مَنْ عُمِرَتْ فى عهده من السلاطين وهو السلطان قَانِصَوُهَ الْعَوْرَى والأمير الذى أشرف على تنفيذ العمل وهو خَايِرُ بَكِ الْمِعْمَارِ حيث قال: «العراقيب وهى عَقَبَةٌ صَغِيرَةٌ وَمَحْجَرٌ وَصَعُودٌ وَهَبُوطٌ، مَا أَصْلَحَ ذَلِكَ وَسَهَلَتْ طُرُقَهُ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ قَانِصَوُهَ الْعَوْرَى عَلَى يَدِ خَايِرِ بَكِ الْمِعْمَارِ أَحَدِ الْمَقْدَمِينَ»<sup>١٤٤</sup>. وهو الأمر المؤكد فى النقش موضوع البحث والتأريخ.

وبالتالى نظراً لأنه لم يقدم لنا أحد من الرحالة قراءة لتاريخ النقش كاملاً فسنحاول الاعتماد على ما ورد فى النصوص التاريخية خاصة المعاصرة ومن نقل عنهم بعد ذلك، فنحن نعلم من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية أن خَايِرَ بَكِ الْمِعْمَارِ خرج من القاهرة فى المرة الأولى لعمارة درب الْحَاجِّ الْمِصْرَى فى المسافة بين عَجْرُودٍ وَالْعَقَبَةَ خلال شهر ربيع الآخر من سنة ٩١٤هـ/ يوليو - أغسطس ١٥٠٨م، وعاد من هذه المهمة فى خلال شهر رجب من سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م<sup>١٤٥</sup>، أى أن مهمته فى هذه السفرة استغرقت من الزمن حوالى سنة وأربعة شهور أنجز خلالها عمارة وتسهيل وقطع الْعَرَاقِيبِ فى عَقَبَةَ أَيْلَةَ الْمَشْهُورَةِ وبناء قلعة وآبار ورسيف وفساقى فى مدينة عَقَبَةَ نَفْسَهَا، وعمر مَنَهْلَى وبرجى نَحْلٍ وَعَجْرُودٍ؛ فخرج وعودة خَايِرُ بَكِ الْمِعْمَارِ من وإلى هذه المهمة رصده لنا ابن إياس، ففى شهر ربيع الآخر من سنة ٩١٤هـ/ يوليو - أغسطس ١٥٠٨م كان صدور مرسوم السلطان قَانِصَوُهَ الْعَوْرَى لِحَايِرِ بَكِ الْمِعْمَارِ بالتوجه إلى عَقَبَةَ أَيْلَةَ حيث قال: «رسم السلطان لِحَايِرِ بَكِ الْمِعْمَارِ بأن يتوجه إلى عَقَبَةَ أَيْلَةَ ويأخذ معه جماعة من البنائين والمهندسين، وقد شرع السلطان فى بناء خَانَ الْعَقَبَةَ وَالْبُرُوجِ وَفَسَاقِى بِرَسْمِ مَلَاقَاةِ الْحُجَّاجِ، وَعَمَرَّ رَصِيفاً عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ الْعَقَبَةَ»<sup>١٤٦</sup>.

كما ورد فى موضع آخر عند ابن إياس من أحداث السنة نفسها وذلك خلال شهر رمضان ما يؤكد الشروع فى تنفيذ المرسوم الذى صدر له من قبل حيث قال: «أرسل خَايِرُ بَكِ الْمِعْمَارِ الذى توجه إلى عَقَبَةَ أَيْلَةَ بسبب عمارة الأبراج التى

١٤٣ الدرعى، رحلتى، ص ٦٣؛ الجاسر، فى رحاب الحرمين (٣)، ص ٦٥٩.  
١٤٤ الجزيرى، الدرر، ص ٤٩٢، ج ٢، ص ١٣٣٢.  
١٤٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٣٣، ١٤٤، ١٥٢، ج ٥، ص ٩٥؛ الجزيرى، الدرر، ص ٥١٠؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٨٩ - ٣٩٠؛ قطب الدين الحنفى، الأعلام، ص ٢٠٩؛ الطبرى، الأراج المسكى، ص ٢٨٤؛ إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية، ص ١٠٣-١٠٤؛ سليم، الأشرف قانصوه العورى، سلسلة أعلام العرب (٥٢)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ت، ص ٩٥؛ الفجر، الكتابات والنقوش، ص ٢٨٢.

١٤٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٣٣.

أنشأها هناك والخان والحواصل وإصلاح العقبة، فأرسل للسلطان حجارة زعم أن داخلها معدن النحاس الأصفر وأنه وجد تلك الأحجار في واد بالقرب من العقبة»<sup>١٤٧</sup>.

وفي شهر محرم من سنة ٩١٥هـ/ أبريل - مايو ١٥٠٩م ذكر ابن إياس خبر عن الأعمال المعمارية التي تمت في عهد السلطان قانصوه الغوري على يد الأمير خايز بك المعمار بالربع الأول من درب الحجاج المصري خاصة بالقسم السينائي في المسافة بين عجزود والعقبة في هذه السفرة، بالإضافة إلى إنشاء بُرج بالأزلم بنهاية الربع الثاني في نفس الفترة التي كان يتم العمل فيها بالربع الأول أو بعدها بقليل حيث أن نقشها مؤرخ في سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠-١٥١١م، وكان يشرف على العمارة بالأزلم أمير آخر غير خايز بك المعمار، وهو الأمير خشقدم الخازندار معمار السلطان<sup>١٤٨</sup>، وذلك لأن العمل كان يتم في الوقت الذي كان فيه خايز بك المعمار يشرف على عمارة الربع الأول كما رأينا، وقد ذكر لنا ابن إياس إجمالى ما تم إنجازه في هذه الفترة حيث قال: «ولما رجع الحجاج أخبروا بما فعله السلطان من وجوه الخير من العمارة بالعقبة، وقد أنشأ هناك خاناً وفيه عدة حواصل برسم الودائع، وأبراجاً، وجعل بها جماعة من الأتراك قاطنين هناك يقيمون بها سنة ثم يعودون إلى مصر ويتوجه غيرهم إلى هناك، وأصلح طريق العقبة، وقطع الأماكن الصعبة التي كانت بالعراقيب، وأنشأ بُرجاً بعجزود وبُرجاً بنخل، وأصلح عدة مناهل بطريق مكة وبنى هناك أشياء كثيرة من هذا النمط وحصل بها غاية النفع، وأنشأ بالأزلم بُرجاً أيضاً وجعل به جماعة من المالك يقيمون به، وكلما مضت سنة يحضرون ثم يتوجه غيرهم»<sup>١٤٩</sup>.

وفي شهر رجب من سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م عاد خايز بك المعمار من هذه المهمة بعد الانتهاء من بناء خان وأبراج العقبة ورسم له السلطان بالتوجه إلى مكة المشرفة لمباشرة عمارة السلطان بها فتوجه إلى الطور<sup>١٥٠</sup> وسافر بحراً، وهو ما ورد ذكره عند ابن إياس حيث قال: «عاد خايز بك المعمار من بناء الخان والأبراج التي أنشأها السلطان في

<sup>١٤٧</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٤٤.

<sup>١٤٨</sup> الجزيري، الدرر، ص ٥٢٠؛ كبريت، رحلة الشتاء، ص ١٧؛ سليم، قانصوه الغوري، ص ٩٥؛ عبدالمعتمد عبدالعزيز رسلان، الأزلم: خاناً وبرجاً، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٤، ص ٣٨٢؛ هشام محمد علي عجمي، قلاع الأزلم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية «دراسة معمارية حضارية»، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٦٥-١٧٠، شكل (١٣)، لوحة (٤٨)؛ غيّان، الآثار الإسلامية، ص ٢٤٣-٢٤٤، شكل (١٠٩)، أ ب؛ نقشان، ص ٥٥، ٥٩، لوحة (٩)؛ الأبار السلطانية، ص ٢٦٥؛ شمال غرب المملكة العربية السعودية - بحوث في التاريخ والآثار، ك (١)، ط ١، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٦؛ موسى، درب الحج، ص ١٨١، لوحة (٩٤)؛ الراشد، وآخرون، آثار منطقة تبوك، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الكتاب (٧)، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٧٨.

<sup>١٤٩</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٥١-١٥٢.

<sup>١٥٠</sup> عن الطور ومبناها وحصونها وقلعتها في العصر الإسلامي واستخدامه للحجاج انظر: المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ٩٨٠؛ ابن فهد، إتخاف الوري، ج ٣، ص ٤١٥، ٤٧٢؛ ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٢٩؛ أبو الحسن على الأندلسي القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الألفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م، ص ١٢٩-١٤٧؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٢٨٩، ج ٢، ص ٧٩٨، ٨٤٠؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ص ١٣٢؛ مباشر وتوفيق، سيناء، ص ٩٩-١٠٢؛ نعيمة شديد محمد زين، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، مجلة العقيق، مج ١٥، ص ٢٩-٣٠، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، محرم ١٤٢١هـ/ إبريل ٢٠٠٠م، ص ١٢٦-١٢٧؛ ليلي أمين عبدالمجيد، التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي (٦٦٧-٩٢٣هـ/ ١٢٦٨-١٥١٧م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ عبدالمالك، التحصينات، ص ٣٩-٤١؛ الطور بشبه جزيرة سيناء: حصونها وقلعتها في العصر الإسلامي «دراسة تاريخية وثائقية آثارية» «قيد النشر».

العقبة، فلما عاد أقام مدة يسيرة ورسم له السلطان بأن يتوجه إلى مكة من البحر الملح ويأخذ صحبته جماعة من البنائين والتجارين والمهندسين، وقد أمر السلطان ببناء مارستان ورباط في مكة وأن يبلط الحرم ويمر عين ماء بزان إلى مكة في أثناء هذا الشهر وتوجه إلى الطور<sup>١٥١</sup>. وسافر منها بحراً إلى مكة المشرفة وذلك امتثالاً للمرسوم الصادر له من السلطان قانصوة العورى في هذا الخصوص، لأن السلطان قانصوة العورى كان مهتم بالحجاز خاصة مكة المشرفة والمدينة الشريفة وعمارتهما منذ بداية توليه السلطنة في مصر، فقد ذكر لنا العز ابن فهد (ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) ما يفيد اهتمام السلطان قانصوة العورى بأمر الحجاز حيث قال بما نصه: «أنه ملتفت لإصلاح الحجاز شديد الحرص على ذلك»<sup>١٥٢</sup>.

ثم كانت عمارة المدينتين المقدستين مكة المشرفة والمدينة الشريفة<sup>١٥٣</sup>، فقد ورد في النقش المراسيمي التذكاري للعمارة درب الحاج المصرى ما يشير إلى ذلك بما نصه: «وعماره مكة المشرفة والمدينة الشريفة»، وإذا كان ابن إياس رصد لنا مرسوم تكليف خايز بك المعمار بعمائر السلطان في مكة المشرفة وتحركه للسفر من ميناء الطور فإن ابن فهد رصد لنا أخبار سفره منذ أن وصل إلى ميناء الطور حتى وصوله مكة المشرفة، فقال في ليلة الأحد الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٥هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٥٠٩م دخل مكة الشريف نظام الدين صهر الخواج الشمس محمد قاوان من جدة وكان مجيئه من مصر، وأخبر ابن فهد أن الأمير خايز بك واصل من البحر لأجل عمارة المسجد الحرام وعين حين<sup>١٥٤</sup>.

وفي يوم الأحد تاسع شهر شوال سنة ٩١٥هـ/ ٢٠ يناير ١٥١٠م وصلت إلى مكة ورقة من أمير ينبع هجار بن دراج للقاضي على بن خالص وأخبره أن الأمير خايز بك المعمار وصل إلى ينبع في الثامن والعشرين من شهر رمضان من السنة نفسها<sup>١٥٥</sup>؛ وفي اليوم التالي وصلت ورقة للقاضي المالكية بن يعقوب من البدرى حسن الصابونى، وفيها أن جلبة وصلت من ينبع وأخبر أهلها أنهم فارقوا خايز بك المعمار بالقرب من رابع<sup>١٥٦</sup>.

وفي يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر شوال سنة ٩١٥هـ/ ٢٢ يناير ١٥١٠م وصل خايز بك المعمار إلى جدة ونزل بها ليلة الأربعاء، ومنها إلى مكة حيث تولى فيها الحسبة وباشية الأتراك ويكون معمار السلطان فيها<sup>١٥٧</sup>، ووصل بالفعل مكة المشرفة يوم الأحد ثامن شهر ذى القعدة من سنة ٩١٥هـ/ ١٧ فبراير ١٥١٠م وقرأ مرسومه وفيه أنه وصل مكة معماراً، والتوصية عليه، وسكن بالمسفلة ببيت الوزير بديد الحسنى<sup>١٥٨</sup>.

وعندما وصل خايز بك المعمار إلى مكة المشرفة من أجل هذه العمارة في ٨ من شهر ذى القعدة ٩١٥هـ/ ١٧ فبراير ١٥١٠م، كانت باكورة أعماله بها بعد تكليفه بالعمائر السلطانية بمكة المشرفة هي نزح بئر زمزم والكشف على عين حنين،

حتى نهاية العصر المملوكى، ط ١، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤١؛ توسعة وعمارة المسجد النبوى من العصر المملوكى إلى التوسعة السعودية، في توسعة وعمارة الحرمين الشريفين رؤية حضارية (٢)، إشراف حامد عباس، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، رجب ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م.

<sup>١٥٤</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٦٩٠-١٦٩١.

<sup>١٥٥</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٠٢.

<sup>١٥٦</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٠٣.

<sup>١٥٧</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٠٣-١٧٠٤.

<sup>١٥٨</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٠٥.

<sup>١٥١</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٣.

<sup>١٥٢</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٤٠٧.

<sup>١٥٣</sup> لم أجد في المصادر التاريخية المتاحة ما يشير إلى قيام السلطان قانصوة العورى بأى عمارة في المدينة المنورة والمسجد النبوى، فربما مرد ذلك إلى العمارة الضخمة التي قام بها السلطان الأشرف قايتباى، ولكن ربما قام بأعمال ولكنها كانت صغيرة مقارنة بما قام به على درب الحاج المصرى ومكة المكرمة فأهملت من المؤرخين المعاصرين، انظر: محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٥٦؛ عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه

وعمل دكة لمقام الحنفية<sup>١٥٩</sup>. ثم في سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م تمت عمارة عين حنين<sup>١٦٠</sup>، كما تم في السنة نفسها تعمير حجر إسماعيل من الكعبة المشرفة، وعمّر أيضاً قبة مقام الخليل إبراهيم، وعمّر باب إبراهيم بالمسجد الحرام وجعله بعقد وفي علوه قصر وفي جانبه مسكنين لطيفين وبيوتاً، وقفها على أهل الخير، وأغلق الخوخ التي في البيوت أعلى سطح المسجد، وبنى أيضاً ميضأة خارج باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد<sup>١٦١</sup>.

وفي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م استمر حايّز بك في مكة حيث قام بالإشراف على العديد من العماير، منها فك رُخام حجر إسماعيل وإعادة ترخيمه من جديد بناءً على أمر صادر من السلطان قانصوة الغوري، وتم جلب المرّمخين وبلاطات الرُخام من مضرّ بحراً، وكذلك إصلاح المقام الحنفي وعمل رُخام له، وعمل رصاص أسفل قبة زمزم وإصلاح وترخيم جدره، وعمل خلوة أعلى زمزم، وبناء دكة ثانية مما يلي باب الزيادة، كما تم إصلاح العين التي في عرفة<sup>١٦٢</sup>، ويؤكد بعض هذه الأعمال خاصة تلك التي في عمارة مقام إبراهيم وجود نقشين إنشائيين في مقصورة المقام من عهد قانصوة الغوري أحدهما مؤرخ في شهر رجب سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م<sup>١٦٣</sup>، كما يؤكدان أيضاً ما ورد في النصوص التاريخية من مراسيم وذكر للأعمال المعمارية التي تمت في عهد قانصوة الغوري على يد الأمير حايّز بك المعمار، أو المشرفين الآخرين على هذه العمارة<sup>١٦٤</sup>.

عبدالمكّ بن عبدالله بن دهيش، ط، د. ن. د. م، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، ص ٢١٢.

<sup>١٦٢</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٠٠، ١٨٠٥، ١٨٠٨، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥؛ الجزيري، الدرر، ج١، ص ١٠٠؛ النهروالي، الأعلام، ص ٢٤٤؛ ابن علان، إنباء المؤيد الجليل، ص ٢٥٩؛ الطبري، الأراج المسكي، ص ٢٨٤؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٣، ص ١٧١؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج١، ص ٢١٢، ٣٨٥؛ الكردي، التاريخ القويم، ج٣، ص ١١٩، ٢٣٠؛ أحمد إسماعيل حافظ، من العناصر المعمارية بالكعبة المعظمة: حجر إسماعيل، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ٥٤، ٤٦٧-٤٦٨، ٤٧١-٤٧٢؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٦١-١٦٢.

<sup>١٦٣</sup> النقشان محفوظان في معرض عمارة الحرمين الشريفين بأم الجود - مكة المكرمة، وانظر: الفجر، الكتابات والنقوش، ص ٢٧٥-٢٧٨.

<sup>١٦٤</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٠٩-١٨١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٣؛ الجزيري، الدرر، ج٢، ص ١٣٢٧، ١٣٢٠، ١٣٤٤؛ القطبي، الإعلام، ص ٢٤٤؛ الصباغ، تحصيل المرام، ج١، ص ٤٨٣؛ رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج١، ص ٢٣٣؛ باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٢٧-١٢٨؛ الكردي، مقام إبراهيم عليه السلام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ص ١٢٩؛ غنّان، نقشان، ص ١٣١-١٣٢، ١٣٥-١٣٦.

<sup>١٥٩</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٣٣-١٧٣٤، ١٧٤٠، ١٧٤٢، ١٧٤٤، ١٧٤٦، ١٧٥٢، ١٧٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٤١، ج٥، ص ٩٥؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٣، ص ١٧١؛ سليم، قانصوه الغوري، ص ٩٥؛ فوزية حسين مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٩.

<sup>١٦٠</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٣٣-١٧٣٤، ١٧٤٠-١٧٤٢، ١٧٤٤، ١٧٤٦، ١٧٥٢، ١٧٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٤١، ج٥، ص ٩٥؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٣، ص ١٧١؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٥٩.

<sup>١٦١</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٧١٤، ١٧٢٥-١٧٢٧، ١٧٣٥، ١٧٥٦؛ الجزيري، الدرر، ج١، ص ١٠٠؛ النهروالي، الأعلام، ص ٢٥٩؛ عبدالمكّ بن حسين بن عبدالمكّ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل التوالى، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ج٤، ص ٥٢؛ عبدالكريم بن محب الدين القطبي، إعلام العلماء ببناء البيت الحرام، تحقيق أحمد محمد جمال وآخرون، ط١، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠١، ٢٤٤؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٣، ص ١٠٤؛ الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، تحقيق محسن محمد حسن سليم، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص ٣٢٨؛ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي الصباغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق

يضاف إلى ذلك أنه أثناء تواجد خَايزِرُ بَكِ المِعْمَارِ في مَكَّة المَشْرِفَة للإشراف على بعض الأعمال المعمارية في مَكَّة توجه إلى جُدَّة في سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م لعمارة سورها وأبراجها<sup>١٦٥</sup>.

ثم نجد أن السلطان العُورى قد بدأ منذ ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ / يونيو - يوليو ١٥١٢م ساخطاً على خَايزِرِ بَكِ المِعْمَارِ<sup>١٦٦</sup>، خاصةً من بعض الأعمال المعمارية التي قام بها في جُدَّة لمخالفته أوامره في بعضها حيث قام بتنفيذ ما رآه وعدم قيامه بتعمير ينبع حسبما طلب منه السلطان، فقد أشار إلى ذلك ابن فهد، فقد وصل إلى مَكَّة في أيامه خمسة مراسيم في شعبان سنة ٩١٨هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٥١٢م، كان أحدها وهو الخامس خاص بخَايزِرِ بَكِ المِعْمَارِ وقد أورد مقتطفات من نصه فقال: «وقرى خمس مراسيم .. الخامس فيه عتب وتقرير وتهديد للباش - خَايزِرِ بَكِ المِعْمَارِ - من ذلك أرسلناك لعمارة المسجد وللعين فما عملت إلا ما أردت فما نحسب لك شيئاً مما عمّرت به ودراهمنا ما إليها، وأرسلت تطلب دراهم فإن كان معك دراهم فرُح مع الحجاج إلى ينبع وعمّر وإلا تعال، وضربت مَبَاشِرنا والخواجاقاسم، ووافقت قرابتنا ابن أخينا الأمير الدويدار على أن تعمّر ينبع فما فعلت، ونزلت جُدَّة وفعلت فيها برأيك ..»<sup>١٦٧</sup>.

ونظراً لعدم رضا السلطان عن خَايزِرِ بَكِ المِعْمَارِ فقد عاد مع الحُجَّاج إلى القاهرة حيث وصل إليها مع أمير الحجاج في يوم الأربعاء ٢٢ من شهر المحرم سنة ٩١٩هـ / ٣٠ مارس ١٥١٣م<sup>١٦٨</sup>، وذلك بعد أن استمر في مَكَّة المَشْرِفَة أربع سنوات متصلة يباشر ويشرف على عمائر السلطان قَانِصَوَة العُورى بها.

وبعد أن عاد خَايزِرِ بَكِ المِعْمَارِ إلى القاهرة تواری ذكره تماماً عن الأحداث بالرغم من رضا السلطان عليه إذ وصل إلى مَكَّة المَشْرِفَة أوراق منه في ١٣ من شهر ربيع الثاني ٩١٩هـ / ١٨ يونيو ١٥١٣م تنفيذ ذلك<sup>١٦٩</sup>، وكان من نتيجة رضا

<sup>١٦٥</sup> أعد الباحث بحثاً عن أسوار وبوابات مدينة جدة به جميع المعلومات المصدرية التي تتعلق بأسوار وأبراج وبوابات جدة، عنوانه: أسوار وأبراج وبوابات ثغر جُدَّة «دراسة تاريخية - آثارية معمارية» «قيد النشر»؛ وانظر: ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٤٧٧، ١٤٧٩، ١٤٨٨، ١٥١٦، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٦٢، ١٥٦٥، ١٨٠٥، ١٨١٤، ١٨٢٨، ١٩١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٨٤، ٩٥، ٣٥٩، ج٥، ص ٩٥؛ جار الله محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد، حُسن القرى في أودية أم القرى، ميكروفيلم معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، رقم السجل العام ١٤٤٧، ميكروفيلم رقم (٤٥) جغرافيا، ص ١٩؛ تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج١٨، ص ٢-١، دار اليمامة، الرياض، رجب - شعبان ١٤٠٣هـ / أبريل - مايو ١٩٨٣م، ص ٤٠؛ تحقيق على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٤؛ نيل المنى بذيول بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى (تاريخ مكة من سنة ٩٢٢هـ إلى سنة ٩٤٦هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ق١، ص ٧٩-٨٠، ٢٣٥، ٣١٩؛ الطبرى، الأرج المسكى، ص ٢٨٤؛ محمد بن أحمد قطب الدين النهروالى، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبدالعزيز عطا، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٢٦٠؛ عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن فرج، السلاح والعدة في تاريخ بندر جُدَّة، مخطوط المكتبة الحرم المكي، مكة المكرمة، رقم ٢٨ دهلوي؛ السلاح والعدة

<sup>١٦٦</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٤٠-١٨٤١.

<sup>١٦٧</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٥٩، ١٨٦٠.

<sup>١٦٨</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٩٧.

<sup>١٦٩</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٩٧.

السلطان عليه أن تم تعيينه ناظر للأوقاف، ففي يوم الثلاثاء الرابع والعشرون من شهر رمضان سنة ٩١٩هـ / ٢٣ نوفمبر ١٥١٣م وصل قصاد من مصر إلى مكة المشرفة ومعهم خمسة مراسيم آخرها كان للأمير خايز بك المعمار بخصوص أنه تم تعيينه ناظر للأوقاف<sup>١٧٠</sup>، ولكن ظل وضع خايز بك المعمار على هذا الحال فلم توكل إليه أعمال معمارية كما كان في السابق إلى أن تم تعيينه خلال سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م مقدم ألف<sup>١٧١</sup>، وكان هو آخر من قرّر في هذا من المقدمين<sup>١٧٢</sup> ولهذا بدأت توكل إليه أعمال معمارية كما كان في السابق.

فكانت أول الأعمال المعمارية التي أوكلت إليه مهمة إنجازها هي إصلاح المنطقة التي يكثُر فيها العراقيب في المسافة بين عزقوب البعل وقلعة عقبة أيلة، وذلك فيما يبدو أن أعماله السابقة لم تكن كافية بهذه المنطقة من الربع الأول من درب الحجاج المصري، فصدر له مرسوم بالذهاب مرة ثانية لإصلاح هذه العراقيب وغيرها بطريق العقبة، لأن عمارته لها في المرة الأولى كان قد مر عليها أكثر من سبع سنوات، وكذلك لتمهيدها عند عودة المقر الناصري محمد بن السلطان وخوند حرم السلطان، وعاد خايز بك المعمار من هذه المهمة في شهر صفر ٩٢١هـ / مارس - أبريل ١٥١٥م، وهو ما ذكره ابن إياس حيث قال: «حضر الأمير خايز بيك المعمار، وكان توجه إلى العقبة بسبب إصلاح العراقيب التي بطريق العقبة لأجل خوند وابن السلطان قبل أن يجيوا إلى العقبة»<sup>١٧٣</sup>. ويلاحظ مما سبق أن الفترة بين عودة خايز بك المعمار من مكة المشرفة في ٢٢ من شهر المحرم ٩١٩هـ / ٣٠ مارس ١٥١٣م وعودته من عمارة العراقيب في المرة الثانية كانت حوالي سنتين، ولم يكلف بأي أعمال خلال هذه الفترة وكانت أولها عمارة العراقيب كما رأينا.

وما يؤكد على اهتمام السلطان قانصوه العوري بسفر ابنه محمد وزوجة السلطان خوند أنه كان في مستهل شهر ذي القعدة سنة ٩٢٠هـ / ١٨ ديسمبر ١٥١٤م مقيماً بالوطاق الذي نصب له بالمنية قبل التوجه للإسكندرية انتظاراً لكتب العقبة بسلامة سفر ابنه المقر الناصري محمد وزوجة السلطان خوند لأداء الحج، وكان قد خرجا من بركة الحجاج في ليلة السبت ٢١ شوال سنة ٩٢٠هـ / ٩ ديسمبر ١٥١٤م<sup>١٧٤</sup>، وهو ما ذكره ابن إياس فقال: «أنه كان ينتظر كتب العقبة حتى يعلم أخبار ولده الذي توجه إلى الحجاز وأخبار زوجته خوند، فلما ورد عليه كتب العقبة بالأمن والسلامة انشرح»<sup>١٧٥</sup>. وفي موضع آخر ذكر ابن إياس ذلك في أحداث شهر ذي الحجة من السنة نفسها فقال: «سافر - أي السلطان - في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة، فنزل أولاً في المكان المسمى بالسبكية [السبتية] في بولاق، فتعدى هناك ثم عدى إلى بر

<sup>١٧٠</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٩٢١.

<sup>١٧١</sup> مقدم ألف: وظيفتهم تسمى تقدمه أو تقادم ألف أو ألوف، صاحبها يتولى قيادة ألف من أمراء المئين، انظر: الفلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٠، ج٤، ص ١٤؛ البقل، التعريف، ص ٣١٩.

<sup>١٧٢</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٥٨، ٤٣٤.

<sup>١٧٣</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٤٤.

<sup>١٧٤</sup> للمزيد عن حج زوجة السلطان العوري وابنه المقر الناصري محمد انظر: ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٩٤٩، ١٩٥٦، ١٩٦١، ١٩٦٥، ١٩٧٠؛ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهم محمد شلتوت، مركز إحياء التراث الإسلامي، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،

١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ج٣، ص ٢٩٩-٣٠١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٠٩-٤٣٩؛ الجزيري، الدرر، ج٢، ص ٧٩٦؛ العصامي، سمط النجوم، ج٤، ص ٣١٧؛ عبدالحادي بن محمد صالح الطاهر، الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، مخطوط مكتبة الحرم المكي الشريف، رقم ٣١ تاريخ دهلوي، ميكروفيلم رقم ٢٣٧٨، ص ٤٤؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٣، ص ١٩٨؛ الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتام، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ، ص ٥٠.

<sup>١٧٥</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤١٥.

إنبابة [ إمبابة ] ونزل الوطاق الذى بالمنية، فأقام به خمسة أيام، قيل إنه كان منتظراً لكتب العقبة حتى يعلم أخبار ولده وزوجته خوند، فلما ورد عليه كتب العقبة اطمأن ورحل من المنية<sup>١٧٦</sup>.

ويعتقد أن هذه الكتب ورد فيها ما يشير إلى حاجة الدرب للعمارة والتمهيد فقد قام السلطان بإرسال خايز بك المعمار للإشراف على العمارة حيث ورد قبل ذلك في نصوص ابن إياس ما يشير إلى ذلك قبل مجيء زوجة السلطان وابنه من الحج لا قبل ذهابهم.

وفي يوم الأحد ٤ محرم سنة ٩٢١هـ / ١٨ فبراير ١٥١٥م خرج القاضى شهاب الدين ابن الجيعان وتوجه إلى العقبة لأجل ملاقة ابن السلطان وخوند والقاضى كاتب السر، فخرج وصحبته جماعة من المالك السلطانية وغير ذلك من الأعيان<sup>١٧٧</sup>، وكان وصولهم برفقة ابن السلطان وزوجة السلطان خوند إلى بركة الحاج في يوم الأربعاء ٢١ المحرم سنة ٩٢١هـ / ٩ مارس ١٥١٥م<sup>١٧٨</sup>.

وفيما يبدو أن خايز بك لم ينته من العمل حتى عودة المقر الناصرى محمد بن السلطان وخوند زوجة السلطان حيث عاد بعدهم بفترة وجيزة خلال شهر صفر من سنة ٩٢١هـ / مارس - أبريل ١٥١٥م<sup>١٧٩</sup>.

وبعد، كان هذا استعراض للأحداث التاريخية التى لها علاقة بعمارة العراقيب فى هذه الفترة، أما عن تأريخ هذا النقش فى الدراسات السابقة فقد أرّخه تامارى فى الفترة من سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م إلى سنة ٩١٥هـ / ١٥١٠م وذلك بجل دراساته التى تمت على النقش<sup>١٨٠</sup>؛ كما أن غبان أرّخه بشكل قاطع فى سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م<sup>١٨١</sup>، ولكن بعد اكتشاف النص التاريخى الخاص بعودة خايز بك المعمار من عمارة العراقيب فى خلال شهر صفر من سنة ٩٢١هـ / مارس - أبريل ١٥١٥م، لا يمكن قبول تأريخ كل من تامارى وغبان لعدة أسباب نوجزها فيما يلى:

١. إن تاريخ سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م الذى ذكره غبان ولم يُرجّحه بناءً على ما ورد عند ابن إياس من خبر هذه العمارة عند عودة الحجاج من الحج سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م<sup>١٨٢</sup>، لا يمكن قبوله الآن بشكل قاطع لأن خايز بك المعمار المشرف على عمارة درب الحاج المصرى كان قد عاد من مهمته لعمارة مناهل عجرود ونخل وعقبة آيلة وقلعة العقبة فى شهر رجب سنة ٩١٥هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م، مما يؤكد الانتهاء من هذه العمارة فى نفس التاريخ وهو ما ذكره ورجّحه غبان بنفسه بعد ذلك، ونص ما ورد ذكره عند ابن إياس: «عاد خايز بيك المعمار من بناء الخان والأبراج التى أنشأها السلطان فى العقبة، فلما عاد أقام مدة يسيرة ورسم له السلطان بأن يتوجه إلى مكة من البحر الملح ويأخذ صحبته جماعة من البنائين والنجارين والمهندسين، وقد أمر السلطان ببناء مارستان ورباط فى مكة وأن يبسط الحرم ويجرى عين ماء بازان إلى مكة فى أثناء هذا الشهر وتوجه إلى الطور»<sup>١٨٣</sup>.

<sup>١٨١</sup> غبان، نقشان، ص ٥١-٥٣.

<sup>١٨٢</sup> غبان، نقشان، ص ٥٣.

<sup>١٨٣</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٣؛ ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٨٤٨، ١٨٥٩؛ ابن دحلان، خلاصة الكلام، ص ١٠٣، الشافعى، الرباط فى مكة، ص ٢١٥.

<sup>١٧٦</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٢٣.

<sup>١٧٧</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٣٦-٤٣٧.

<sup>١٧٨</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٣٨.

<sup>١٧٩</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٤٤.

<sup>١٨٠</sup> Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Gūrī*, p. 187; *id.*, «Darb al-Hajj», *id.*, *Aqabat al-Urquḅ*, p. 290; *id.*, «Darb al-Hajj»,

٢. إن العمارة التي تمّت في العَراقيب وفي عَقَبَة أَيْلَة في عهد قَانِصَوْه الغُورى سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، وردت تفاصيلها في نقشه بعَراقيب البُعل برأس النقب بما نصّه «قطع الجبل عَقَبَة أَيْلًا»<sup>١٨٤</sup>، وعند ابن إياس الذى ذكر تفاصيلها كلها حيث تمّ صدور مرسوم هذه العمارة في شهر ربيع الآخر سنة ٩١٤هـ/ أغسطس ١٥٠٨م فقال: «رسم - السلطان قَانِصَوْه الغُورى - بإصلاح العَراقيب التى بالعَقَبَة وكانت تتضرر منها الحُجاج، فقبل أصلح ذلك وجاء من أحسن المباني فى ذلك المكان»<sup>١٨٥</sup>. كما ورد أيضاً فى موضع آخر عند ابن إياس ما يؤكد ذلك حيث قال: «أرسل حَايِرُ بَيْك المِغْمَار الذى توجّه إلى عَقَبَة أَيْلَة بسبب ... .. إصلاح العَقَبَة، فأرسل للسلطان حجارة زعم أن داخلها معدن النحاس الأصفر وأنه وجد تلك الأحجار فى واد بالقرب من العَقَبَة»<sup>١٨٦</sup>. وفى موضع ثالث ذكر ذلك فقال: «أصلح طريق العَقَبَة»<sup>١٨٧</sup>. كل هذا يؤكد تنفيذ المرسوم وحدث العمارة، أما موضع هذه العمارة التى بالعَقَبَة فقد أكده العثور على نقش تذكاري إنشائي يُورِّخ لقطع الجبل بهذا المكان المعروف الآن بمقعد الباشا من عَقَبَة أَيْلَة، وذلك على يد حَايِرُ بَيْك المِغْمَار المشرف على مشروع إعمار درب الحجاج المِصرى فى عصره، والنقش مؤرَّخ فى سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م، ويقرأ: «أمر بقطع هذا الطريق المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف قَانِصَوْه الغُورى/ عزّ نصره وكان الواقف فى هذا المكان الأمير [يَزِيدُ بَيْك العَلاى] أربعة عشر [وتسعمائة]»<sup>١٨٨</sup>.

كما أن ابن عبدالسلام الدرعى قد شاهد هذا النقش وحاول قراءة تاريخه فقال فى رحلته الكبرى ما نصّه: «... إصلاحا بعده - أى فائق مولى خماروية بن أحمد بن طولون - السلطان الأشرف الغُورى آخر ملوك الشركاسة من جملة ما أنعم فى طريق الحجاز فى أواخر عمره قبل العشرين وتسعمائة»<sup>١٨٩</sup>.

٣. إن نقش السلطان قَانِصَوْه الغُورى المراسيمي التذكاري موضوع الدراسة هو نفسه قد فرّق وميّز بين قطع الجبل الذى به هذا النقش المراسيمي التذكاري فورد ذكره فى النقش بما نصّه: «رسم بقطع هذا الجبل المسّمى عَراقيب البُعل»، وبين الأعمال التى تمّت فى قطع جبل عَقَبَة أَيْلَة حيث ورد ذكر هذه الأعمال بما نصّه: «قطع الجبل عَقَبَة أَيْلًا».

٤. أن هناك منشآت معمارية وردت فى النقش على صفة أن العمارة تمّت فيها مثل: عمارة مَكَّة المشرفة بصفة العموم ونحن كما نعلم أن حَايِرُ بَيْك المِغْمَار عاد من العَقَبَة فى رجب سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م وسافر فى الشهر نفسه إلى مَكَّة المشرفة لمباشرة عمارتها كما رأينا، واستمرّ ببلاد الحجاز لمدة أربع سنوات متصلة حيث عاد منها فى ٢٢ من شهر المحرم سنة ٩١٩هـ/ أبريل ١٥١٣م، وجاء فى النقش عمارة المَدِينَة الشريفة وإن كانت المصادر التاريخية والآثارية - على حد علمى - لم تمدّنا بأى أعمال معمارية تمّت بالمَدِينَة المنورة فى عهد قَانِصَوْه الغُورى حتى الآن، كما تمّت عمارة قلعة الأزْم

<sup>١٨٤</sup> ويلاحظ أن رسم أَيْلَة كُتِب هكذا بالألف بدلاً من التاء المربوطة كما ورد فى <sup>١٨٨</sup> كان قد قرأ هذا السطر شقير فى بداية هذا القرن حيث كانت لا تزال معالمه بحالة جيدة، عن هذا النقش انظر: شقير، تاريخ سيناء، ص ٢٠٤؛ بكر، دروب

الحجيج، ص ١١٥؛ غوانمة، أَيْلَة، ص ٧٥-٧٦. Sh. Tamari, *An Inscription of Qānṣūh al-Ġūrī*, p. 183. pl. 3; *id.*, «Darb al-Hajj», p. 511-513, pl. XIII b. ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٣٣.

<sup>١٨٥</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٤٤.

<sup>١٨٦</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٩٥.

<sup>١٨٧</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٩٥. <sup>١٨٨</sup> يلاحظ وجود خطأ فى نص ابن عبدالسلام الدرعى أولها أن الغُورى لم يكن آخر سلاطين المهاليك الجراكسة وكان آخرهم طومانباى، وثانيها ذكر ٧٢٠هـ بدلاً من ٩٢٠هـ، وانظر: الدرعى، رحلتى، ص ٦٥؛ الجاسر، فى رحاب الحرمين (٣)، ص ٦٦٠-٦٦١.

التي يوجد بها نقش إنشائي يؤرخ لعمارتها في سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠ - ١٥١١م ذكر فيه المشرف على عمارتها<sup>١٩٠</sup>، والمؤيّلح «النبك» وهى المؤيّلح حالياً والتي يبدو أنه قد تم تعمير البئرين اللذين كانا شيدهما آل ملك الجوكندار فيها زمن الناصر محمد بن قلاوون<sup>١٩١</sup>، ومغارة نبط، والفساقى ببدّر<sup>١٩٢</sup> وقد عمّرت بركتها سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٥م، حيث مرّ بها الرحالة ابن طولون الصالحى (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) في طريقه لأداء فريضة الحجّ في آخر شهر ذى القعدة من سنة ٩٢٠هـ / يناير ١٥١٥م، وذكر هذه العمارة الذى كان شاهداً عياناً لها حيث قال: «ثم وصلنا بدراً... رأينا المعمارية قد شرعوا في عمارة بركة معظمة هناك يصل إليها الماء من الفارعة، رسم بعمارتها سلطان مصر الأشرف قانصوه الغورى وجاءت في محلّها فإن الماء هناك غزير»<sup>١٩٣</sup>. وذكرها ابن الشماخ الحلبي (ت ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م) عندما مر بها في اليوم السبت ٢٨ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ / ١٠ نوفمبر ١٥٢٠م فقال: «رأينا به بركة عظيمة فيها ماء كثير وإلى جانبها قبة لطيفة فحصل للناس بالماء المذكور راحة كبيرة وزال عنهم مشقة عظيمة فقد كان بعض الناس فيما تقدم من الإعصار الماضية يذهب بالجمال والدواب فيرد الماء من نحو الفارعة، وجدد هذا الصنيع في أيام السلطان قانصوه الغورى الجركسى ملك مصر بتاريخ...»<sup>١٩٤</sup>. كما ذكرها الجزيرى وزاد عليه بذكر اسم المشرف على العمارة ولكنه أخطأ في التاريخ الذى شيّدت فيه البركة فجعله سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م، ونصّ ما ورد عنده عن البركة: «والفسقية الكبيرة التى بها والقبة التى عليها يروى منها الحجاج، ويفضل عنهم، مُستجدة الإنشاء بأمر السلطان قانصوه الغورى، على يد علاء الدين بن الإمام ناظر الخواص الشريفة في سنة خمس عشرة وتسع مائة، ورتّب لها في تلك السنة مرتباً من ديوان السلطنة الشريفة يصرف للإشراف بها عن الدرك وملئى الفسقية»<sup>١٩٥</sup>. وأعتقد أن تاريخ الرحالة ابن طولون هو الصحيح لأنه رحّالة معاصر ورأها رؤيا العين، والذى يهمننا هنا أن ذكر ابن طولون لعمارة بركة بدّر أكبر دليل على استمرار أعمال عمارة السلطان قانصوه الغورى على درب الحجاج المصرى في هذه السنة، ومن ثم يكون التاريخ الجديد لنقوشه في عراقيب البعل أقرب للواقع من التاريخ الذى اقترحه غبّان، ولا يمكن أن تُذكر هذه المنشآت ما لم ينته العمل فيها، وليس كما ذهب غبّان من أن مشروع العمارة الغورية قد خطط له ووضعت تفاصيله الكاملة قبل الشروع فيه، ثم نُفذ بعد ذلك على مراحل حيث قال: «وفيما يتعلّق بالإشارة في هذا النقش إلى خان الأزّم الذى انتهى بناؤه في عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م، وعمارة مكة التى فُرغ منها في عام ٩١٧هـ / ١٥١١م، فإننا نعتقد أن ذكرهما في النقش جاء على اعتبار أنهما جزء من مشروع العمارة الغورية، وأن العمل

<sup>١٩٠</sup> رسلان، الأزمن، ص ٣٨٢؛ عُجمي، قلاع الأزمن والوجه وضبا، ص ١٦٥ - ١٧٠، شكل (١٣)، لوحة (٤٨)؛ غبّان، الآثار الإسلامية، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، شكل (١٠٩ أ، ب)؛ نقشان، ص ٥٩، ٥٥، لوحة (٩)؛ الأبار السلطانية بوادى الزريب، ص ٢٦٥؛ بحوث في التاريخ والآثار، ص ٣٦؛ الراشد وآخرون، آثار منطقة تبوك، ص ١٧٨.

<sup>١٩١</sup> الحجاج سنة ١١٤٣هـ (١)، ص ٧٤٦ - ٧٥٣؛ غبّان، نقشان، ص ٩٣ - ٩٤. محمد بن على الحنفى ابن طولون الصالحى، البرق السامى في تعداد منازل الحجاج الشامى، مخطوط دار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، رقم ١٤ مجموع، لوحات (٢١٥ - ٢٢٨)؛ الجاسر، البرق السامى في تعداد منازل الحج الشامى لمحمد بن طولون الحنفى المتوفى سنة ٩٥٣، مجلة العرب، ص ١٠، ١١ - ١٢، الرياض، جماديان ١٣٩٦هـ / مايو - يونيو ١٩٧٦م، ص ٨٨٦.

<sup>١٩٤</sup> عمر بن أحمد بن على بن الشماخ الحلبي، عيون الأخبار في ضبط ما يقع لكاتبه من الإقامة والأسفار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم (٥٧٠٥)، ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٥.

<sup>١٩٥</sup> الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٤٢٥ - ١٤٢٦.

<sup>١٩٠</sup> رسلان، الأزمن، ص ٣٨٢؛ عُجمي، قلاع الأزمن والوجه وضبا، ص ١٦٥ - ١٧٠، شكل (١٣)، لوحة (٤٨)؛ غبّان، الآثار الإسلامية، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، شكل (١٠٩ أ، ب)؛ نقشان، ص ٥٩، ٥٥، لوحة (٩)؛ الأبار السلطانية بوادى الزريب، ص ٢٦٥؛ بحوث في التاريخ والآثار، ص ٣٦؛ الراشد وآخرون، آثار منطقة تبوك، ص ١٧٨.

<sup>١٩١</sup> A. Ghabban, *Introduction à l'étude archéologique des routes syrienne et égyptienne du pèlerinage*, p. 565-571.

<sup>١٩١</sup> الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٣٧٨؛ غبّان، بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٠٤.

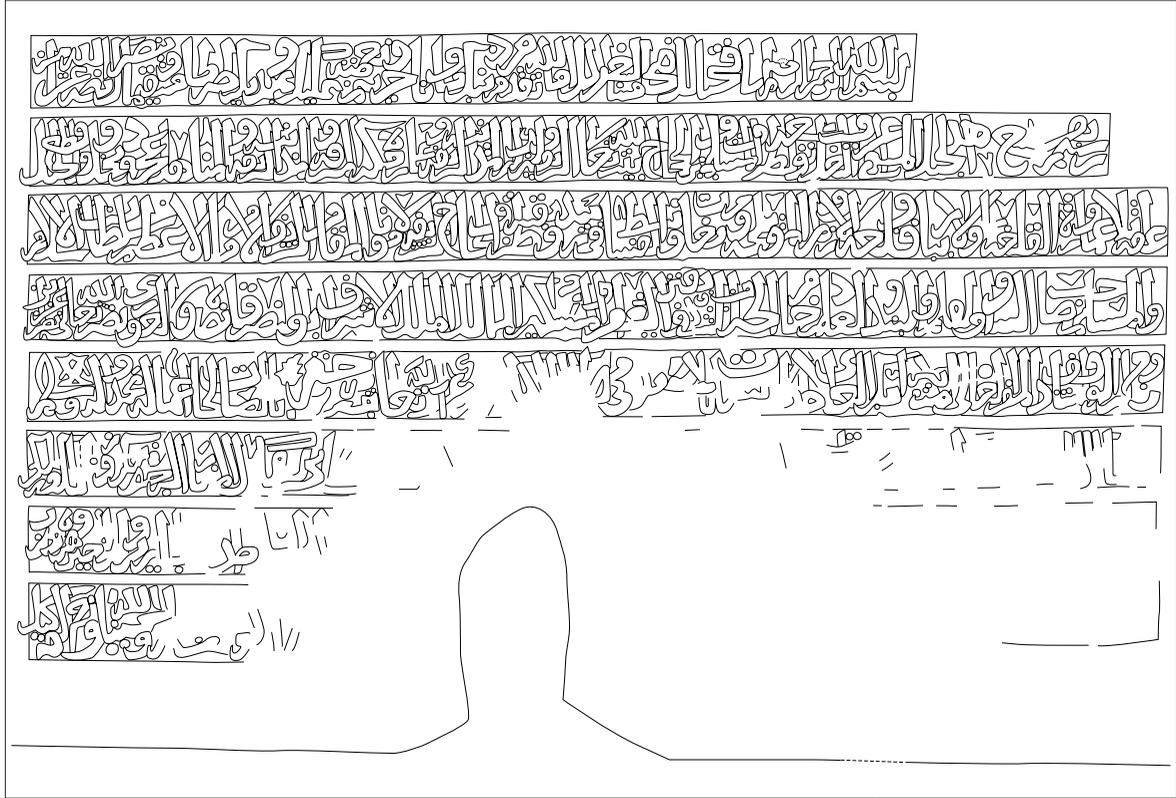
<sup>١٩٢</sup> بدّر: تقع على بُعد ١٦٠ كم إلى الغرب من المدينة المتورة، وعلى بُعد ٨٠ كم جنوب شرق يَنْبُغ، انظر: الجاسر، رحلة الوزير الشرقى الإسحاقى المغربى إلى

بالنسبة لخان الأزلم وعمارة مكة، جار أثناء كتابة هذا النقش. وعليه يكون مشروع العمارة العُوربية قد خُطط له ووضعت تفاصيله الكاملة قبل الشروع فيه، ثم نُقِد بعد ذلك على مراحل<sup>١٩٦</sup>. ولكن يُجِب هذا الاقتراح هو ذكر عمارة «الفساقي ببدر» في النقش وهو العمل الذي كان لا يزال قائماً ببدر في سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٥م كما مرّ متزامناً مع عمارة العراقيب في المرة الثانية أو قبلها بقليل، كما يتّضح أيضاً أن المشرف على العمارة كلها ليس خايز بك المعمار، ولكن كان هناك مشرفين آخرين مثل خُشقدم الخازندار أحد الأمراء العشرات للإشراف على عمارة خان الأزلم وربما المُوَلِّح التي وردت بالنقش لأنها تبعد عن الأزلم بمسافة ٩٠ كيلو متر فقط، والأمير علاء الدين بن الإمام ناظر الخواص الشريفة للإشراف على عمارة بركة بدر وربما معارة نبط التي وردت بالنقش لأنها تبعد عن بدر بمسافة ١٢٠ كيلو متر فقط، والخواج محمد بن عباد الله الرومي الذي أشرف على تجديد وترميم العمارة التي تمت بمكة المشرفة التي بدأت في شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م حيث تم تجديد قبة مقام الحنفى، وتجديد مقصورة مقام إبراهيم الخليل، وإصلاح شبابيك بئر زمزم، ودرج باب الصفا وباب البغلة وباب جازان وباب العباس وباب الجنائز وباب السلام وباب العمرة<sup>١٩٧</sup>.

وعندما أراد السلطان التوسع في أعماله المعمارية بمكة المشرفة عن طريق تشييد عمائر جديدة أصدر مرسوم إلى خايز بك المعمار بعد عودته مباشرة من عمارته بالربع الأول من درب الحجاج المصري بالذهاب إلى مكة للإشراف على عمارته بها، حيث قام بالعديد من الأعمال المعمارية ما بين ذهابه وعودته، حيث تم تجديد بناء باب إبراهيم بعقد كبير، وبناء قصر فوكة، ومنازل ومساكن حوله، وإنشاء ميضأة بالقرب منه، وعمارة وترخيم حجر إسماعيل، وتأجير الحطيم بالرخام الأبيض والأسود والتأريخ لعمارته بنقش تذكاري تاريخي، وإصلاح طلة المؤذنين وتغليف قبعتها بالرخام<sup>١٩٨</sup>، وإجراء بعض الإصلاحات في مقام المذهب الحنفى بالحرم<sup>١٩٩</sup>، وإجراء إصلاحات بمقصورة المقام للمرة الثانية، ونزح بئر زمزم، وترميم الرواق الشامى من المسجد الحرام، والكشف على المياه في وادى مر وفى الجموم، وإصلاح عين عرفة<sup>٢٠٠</sup>، وكذلك بناء برج سابع بوسط البحر، وأوصل به سور جُدَّة سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م<sup>٢٠١</sup>، مما يؤكد أن هذه النقوش نُفِذت بعد الانتهاء من عمارة عراقيب البعل في المرة الثانية في الفترة من وصول كُتُب العقبّة على السلطان في شهر ذى القعدة سنة ٩٢٠هـ/ ديسمبر ١٥١٤م - يناير ١٥١٥م عندما كان بالسبكية «السبتية» جهة بولاق أو المنية جهة أنبابة «أمبابة» ويبدو أن هذه الكُتُب ورد فيها وجود صعوبات في اجتيازها ومن هنا نجد أن السلطان قد رسم إلى خايز بك المعمار الذى تمت عمارة الدرب تحت إشرافه للذهاب إلى العراقيب لإصلاحها قبل عودة ابنه المقر الناصرى محمد وزوجة السلطان خوند وما بين تاريخ عودته من هذه المهمة في شهر صفر من سنة ٩٢١هـ/ مارس - أبريل ١٥١٥م، مما يؤكد أن هذا النقش عُمل بعد الانتهاء منها.

<sup>١٩٦</sup> عَنان، نقشان، ص ٥٢-٥٣.  
<sup>١٩٧</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٦٩٢، ١٧٠٢.  
<sup>١٩٨</sup> ابن فهد، بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٧٢٥-١٧٢٦، ١٨٠٨-١٨١٢؛ الجزيرى، الدرر، ج ٢، ص ١٥١٣، ١٧٣٣-١٧٣٦، ١٨٠٥.  
<sup>٢٠١</sup> ابن فهد، حُسن القرى، ميكروفيلم رقم (٤٥) جغرافيا، ص ١٩؛ تحقيق الجاسر، ص ٤٠.





شكل ٣. تفرغ لنقش عمارة درب الحاج المصري في عهد السلطان قانصوه الغوري بعراقيب البعل، رسم بسرية حامد (Ifao).



شكل ٤.

تفرغ لرنك السلطان قانصوه

الغوري بعراقيب البعل،

رسم بسرية حامد (Ifao).



لوحة ٢. درب الحجاج المصري وقطع جبل عراقيب البغل في عهد قانصوة العورى وذلك من الناحية الشرقية قبل تعبيد الدرب في العصر الحديث.



لوحة ١. بئر التمد «تمد الحصا» منزل ثانوى على درب الحجاج المصري قبيل عراقيب البغل من ناحية الغرب، تصوير م. جابى توما.



لوحة ٣.

بقايا مسجد الأمير رضوان بك الفقارى بعراقيب البغل ويظهر في الخلف يساراً موقع إلقاء ناتج أعمال قطع الجبل.



لوحة ٤.

بقايا الجدار الشمالى من مسجد الأمير رضوان بك الفقارى بعراقيب البغل.



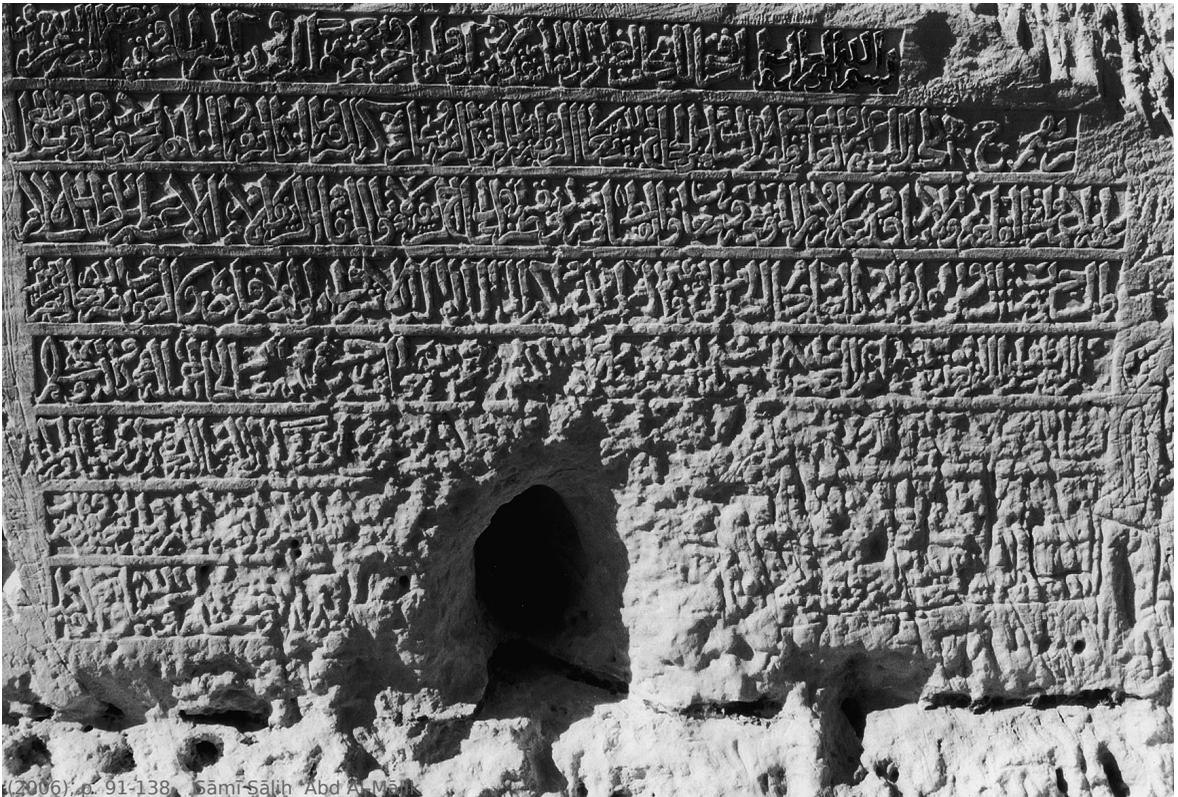
لوحة ٥.

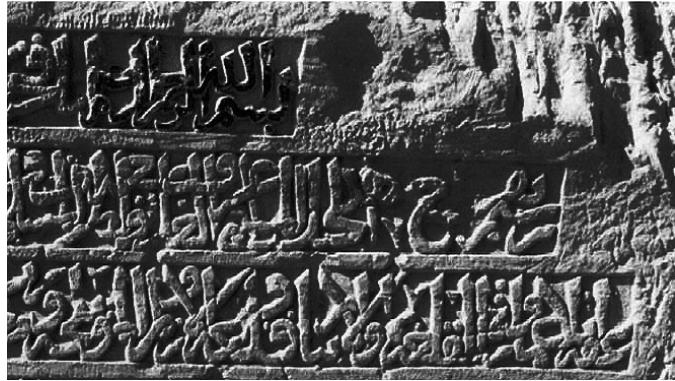
المحرس أو مساكن عمال المَخَجَرِ وغربان الدرك وحراس القافلة وفي خلف الصورة بقايا قطع الجبل من الناحية الجنوبية يليها المسجد، تصوير م. جابى توما.



لوحة ٦.

النقش المراسيمي التذكارى ورنك العُورى بعراقيب البُغَل على درب الحَاجِ المِضْرَى في سيناء من عهد قَانِصُوَّة العُورى، تصوير م. جابى توما.





لوحة ٨. تفصيل من النقش الإنشائي لعمارة درب الحاج المِصرى بعراقيب البُغل في سيناء من عهد قَانِصُوهُ العُورى يوضح اسم الجبل الذى قُطع فيه الدرب والفرق بين اللام في كلمتي الجبل والبُغل والهاء في كلمات توسعة وعَقْبَة والقلة وقلعة والمولحة.



لوحة ٩. رنك السلطان قَانِصُوهُ العُورى بعراقيب البُغل على درب الحاج المِصرى في سيناء.